



د.نهلة الجمزاوي

فلسفة الأخلاق

(مفهومها - تاريخها - تطورها)



فلسفة الأخلاق

(مفهومها، تاريخها، تطورها)



فلسفة الأخلاق

(مفهومها، تاريخها، تطورها)

تأليف

د. نهلة الجمزاوي

- فلسفة الأخلاق (مفهومها، تاريخها، تطورها)
- سلسلة فلسفة الشباب
- د. نهلة الجمزاوي
- الناشر: وزارة الثقافة

شارع صبحي القطب
المتفرع من شارع وصفي التل
ص. ب ٦١٤٠ — عمان – الأردن
تلفون: ٥٦٩٦٢١٨/٥٦٩٩٠٥٤
فاكس: ٥٦٩٦٥٩٨
Email·: info@culture.gov.jo

المملكة الأردنية الهاشمية
رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
(٢٠٢١/٨/٤٩٣٠)

١٧٠
الجمزاوي، نهلة
فلسفة الأخلاق: مفهومها، تاريخها، تطورها/ نهلة الجمزاوي – عمّان: وزارة الثقافة، ٢٠٢١
( ) ص
ر. إ.: ٢٠٢١/٨/٤٩٣٠
الواصفات: / علم الأخلاق/ / الفلسفة الأخلاقية/
يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبّر هذا المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى.

- الإخراج الفني: سمير اليوسف هاتف: 0799677569
- مصمم الغلاف: عُبادة الفحماوي
- متابعة وتنسيق: فادية نوفل
- (ردمك): ISBN 978-9957-94-688-3

فهرس

تمهيد

وصفت التجربة الأخلاقية بأنها ثورة في سبيل التقدم، ورفض الواقع الراهن، تطلعاً إلى مستقبل وواقع أفضل يضبط حياة البشر على هذه الأرض وفق ما يشبه القوانين والقواعد السلوكية التي تستقي أهميتها من قيمتي الخير والشر، وتتفاوت الأخلاق زمانياً ومكانياً، وهي في صيرورة دائمة، تتجدد وتتغير بحسب تغير التجارب الإنسانية، فالإنسان بطبعه ثوري يصبو غالباً إلى الأفضل وإلى ما يحقق مصالحه المادية والمعنوية.

والتجربة الأخلاقية بحسب «جورج كورفيتش»[1] ليست سوى ثورة فكرية دائبة، فهي ثورة على الحاضر باسم المستقبل، وثورة على المتحقق باسم ما يجب تحقيقه، وثورة على الأهداف باسم الغايات، وثورة على

---

(١) جورج گورفتشGeorges Gurvitch (١١ نوفمبر ١٨٩٤، نوفوروسيسك – ١٢ ديسمبر ١٩٦٥، باريس)، هو عالم اجتماع وفقيه فرنسي وُلد في روسيا. وهو أحد رواد علم الاجتماع في عصره، وكان متخصصاً في علم اجتماع المعرفة. عام ١٩٤٤ أسس صحيفة Cahiers internationaux de Sociologie. تقلد كرسي علم الاجتماع في سوربون في باريس. كمجاهر بدعوته لإنهاء الاستعمار الفرنسي للجزائر.

الغايات والأوامر باسم القيم، وثورة على القيم باسم الحرية المبدعة..إلخ. ويؤكد: «أنّ التجربة الأخلاقية ثورية بالدرجة الأولى، وهي ثورة روحية تنشد دائماً مزيداً من العمق...» (العوا، ١٩٨٣، ٧) ويعني أنّ السِّمة الأبرز للتجربة الأخلاقية هي الثورة، وأنّ السعي وراء تجديد وتطوير الأخلاق يحتاج إلى ديمومة من الثورات في معظم مجالات الحياة....وقد أثبتت التجربة التاريخية، صيرورة الأخلاق وتجددها، عبر ثورات فكرية زمانية ومكانية.

وتتضمن هذه الدراسة تعريفاً عاماً بفلسفة الأخلاق، على الصعيدين: اللّغوي، والاصطلاحي، كما تسلط الضوء على الأخلاق، بوصفها مصطلحاً شائكاً شغل العديد من الفلاسفة والمفكرين وعلماء اللغة منذ أعمق الحضارات إيغالاً في التاريخ.

من هنا علينا أن نفرق جيداً بين الأخلاق، بوصفها مفهوماً لغوياً واصطلاحياً، وعلماً قائماً بذاته، وبين ما يطلق عليه اسم فلسفة الأخلاق، وهذا أمر ليس باليسير، في ظلّ الكمّ الهائل من الآراء، والدراسات التي تناولت

موضوع الأخـلاق، بكافة مناحيه المعرفية والعلمية والفلسفية.

وتعرض الدراسة موجزاً لفلسفة الأخلاق، لدى أبرز الديانات، والحضارات، والمذاهب الفكرية التي رصدها تاريخ الأخلاق، بهدف إلقاء قدر من الضوء على الإرث الهائل الذي راكم لمفهوم الأخلاق المتفاوت بين تلك الأديان والشعوب والمذاهب الفكرية على مدّ التاريخ الإنساني بقصد تقديم ملخص شامل لمفهوم الأخلاق وإلقـاء نظرة بانورامية لفلسفة الأخـلاق وتاريخها، وتعريف المتلقي بأهمية نشوء علم خاص يبحث في الأخلاق ويستعرض محاولات وصفها، وترجمة معناها لغة واصطلاحـًا وفلسفةً، وذلك عند مختلف الثقافات ولـدى أهـمّ الحضارات القديمة. مثل (الهند ومصر وفـارس والصين واليونان) وما تضمنتها من ديانات، ومذاهب فلسفية، كالبوذية والهندوسية، والمجوسية.... إلـخ، وكذلك عند أبـرز مـدارس وفلاسفة الإغريق: (السفسطائيون، فيثاغوروس، هيراقليطس، ديمقريطس، سقراط، أفلاطون، القورينائيون، المدرسة الكلبية،

أرسطوطاليس، الأبيقوريون، والرواقيون، الأفلاطونية المحدثة «أفلوطين»). والتعريف بفلسفة الأخلاق عند أهم الديانات السماوية (اليهودية والمسيحية والإسلامية).

وستتعرض الدراسة لفلسفة الأخلاق في الفكر الحديث والمعاصر، وأهم مدارسه منها: (الماركسية، البرجماتية، الوجودية).

كما ستتناول طروحات لنماذج من أبرز رواد الفكر الحديث والمعاصر، ومفكري ما بعد الحداثة، مثل: (ديكارت، مالبرانش، سبينوزا، كانط، شوبنهور، نيتشه... إلخ)

وهكذا نكون قد استعرضنا مفهوم فلسفة الأخلاق عبر حقبات زمانية متعاقبة، أي منذ ما يقارب ٦٠٠٠ قبل الميلاد حتى العصر الحديث خلال أبرز المدارس الفلسفية وعند أهم الفلاسفة والمفكرين بموجز مفيد ولغة مبسطة تصل إلى المتلقي (الشاب أو غير المتخصص) بسهولة ويسر، بهدف تعزيز معنى الأخلاق

وتفاوتاته المتسقة مع تفاوتات البشر واختلافاتهم الفطرية منذ الأزل حتى يومنا هذا، وبهدف تعزيز عملية إعمال العقل والتفكير الناقد، وتعزيز حرية الفكر والإرادة المبنية على المعرفة، ونبذ العصبوية والأحكام المسبقة، وتعزيز قبول الآخر، والتمييز السليم المتكىء على قيمتي الخير والشر...وذلك وفق دراسة علمية موثقة ومحايدة.

كما تسعى الدراسة إلى إثراء القاموس اللغوي لدى المتلقي (الشاب أوغير المتخصص) ببعض المفردات الفلسفية الجديدة المتداولة في الحياة الثقافية بعد توضيحها وشرحها في الهوامش.

الفصل الأول

فلسفة الأخلاق، مفهومها :
(لغةً، اصطلاحاً، فلسفةً)

فلسفة الأخلاق، مفهومها
(لغةً، اصطلاحاً، فلسفةً)

، لا بد قبل الحديث في تاريخ الأخلاق أن نسلط الضوء على الأخلاق بوصفها مصطلحاً شائكاً شغل العديد من الفلاسفة والمفكرين وعلماء اللغة على مدّ التاريخ، ومن هنا علينا أن نفرق جيداً بين الأخلاق بوصفها مفهوماً لغوياً واصطلاحياً، وعلماً قائماً بذاته، وبين ما يطلق عليه اسم فلسفة الأخلاق، وهذا أمر ليس باليسير في ظلّ الكمّ الهائل من الآراء، والدراسات التي تناولت موضوع الأخلاق بكافة مناحيه الإبستمولوجية[1] والعلمية والفلسفية، فإذا ذهبنا في تحليل المفردة لغة نجد ما يدل على معان متشابهة في مضمونها وإن اختلفت أساليب التعبير.

• الأخلاق لغةً:

جمع خلق: ومن معانيه في اللغة: «الطبع والسجية والعادة». يقول ابن منظور (١٢٣٢ م - ١٣١١م):

---

(١) المعرفية.

«واشتقاق خليق وما أخلقه من الخلاقة، وهي التمرين، وكذلك تقول للذي ألف شيئًا صار ذلك له خلقًا، أي مرّن عليه ومن ذلك الخلق الحسن». (ابن منظور،٢٠٠٣، ٢٠٠)

«والخلق، الخلق: السجية، والخلق بضم اللام وسكونها هو الدين والطبع والسجية، وحقيقته أنه صورة الإنسان الباطنة، وهي نفسه، وأوصافها ومعانيها المختصة بها، بمنزلة الخلق لصورته الظاهرة، وأوصافها ومعانيها، ولهما أوصاف حسنة وقبيحة..... الخلق الدين وأما قوله تعالى: «لا تبديل لخلق الله» فقال قتادة: لدين الله». (ابن منظور، ٢٠٠٣، ١٩٦)

وأرى أنّ ما يتضح من التعريفات السابقة ويجمع بينها، أنّ الخلق سلوك يصدر عن النفس البشرية بالفطرة، أو «بفعل التعود»، وقد تحول السلوك إلى طبع وسجية في تلك النفس، متخذاً صفة الديمومة لا الحالة المؤقتة، إذن، الخلق هو طبع، وكسب في آن واحد، أو أنه طبع يتحقق بفعل الكسب، وما نلاحظه أيضًا، أنّ تلك التعريفات لا تشير إلى دور الإرادة في تشكل هذا

الخلق، ورسوخه في النفس، وتجليه في مظاهر السلوك، سواء جاء هذا الخلق، بفعل التأثير القسري الاجتماعي والسياسي..وغيره، أو بواسطة أوامر الوحي الإلهي، إذا كانت المفردة تدلّ على معنى الدين فحسب، كما ورد عند ابن منظور في لسان العرب، وأشارت بشكل طفيف إلى التطبع بمعنى الكسب أي التربية، لكنها ركزت على الفطرة في أغلب الأحيان.

- **الأخلاق اصطلاحاً:**

ذهب الباحثون إلى عدة تعريفات اصطلاحية للأخلاق، يصبّ بعضها في الدين، وأخرى في علم الاجتماع، وأخرى في الفلسفة «فلسفة الأخلاق»، مما يُبرز ثلاثة معان للأخلاق: فقد تعني الأخلاق: طريقة، أو أسلوباً معيناً في الحياة، وهو الأقرب إلى الأخلاق الدينية، أومجموعة معينة من قواعد السلوك التي يربى عليها النشء في المدارس أوالمنزل، أو أنها البحث في طرق الحياة، وقواعد السلوك، وهذا الفرع من الفلسفة الذي يسعى إلى وصف الفضائل الأخلاقية في مجتمع

معين، أو زمان محدد، فهو لا يقوم بعملية النصح والإرشاد، بل إنّ مهمته دراسة هذه الفضائل أوالرذائل دراسة عقلية خالصة، ولهذا يوصف أحيانًا بأنّه «ميتا أخلاق»، أي ما وراء الأخلاق، أو ما تحتها، أوهو شرح وتفسير للأسس، والمسوّغات التي تقوم عليها، ويعتقد د. إمام أن: «فلسفة الأخلاق بالمعنى الضيق، تكاد تقوم من أخلاق العرف مقام فلسفة العلم». (إمام، ١٩٨٥، ٥)

- **فلسفة الأخلاق:**

إذا كان علم الأخلاق يعنى بدراسة السلوكيات الأخلاقية وقواعدها وشرحها فإنّ فلسفة الأخلاق تقوم بالبحث والتقصي وراء الأسباب العقلية والمعرفية التي دفعت باتجاه تكوّن تلك القواعد لدى شعب أومذهب معين، وكذلك الأسس والمسوّغات؛ لتكوّن تلك القواعد الخلقية لديهم.

ويرى د. عبد الفتاح إمام «أن مجموعة النصائح والقواعد السلوكية لا تعبر عن فلسفة الأخلاق، ففلسفة الأخلاق مهمتها الحفر وراء هذه النصائح، ومعرفة

الأسس التي ترتكز عليها..أي المبرر العقلي للفضيلة والرذيلة. - لا تسرق، أراد فعل النهي عن السرقة إلى: ستذهب إلى السجن- «قوانين الدولة»، إذا سرقت يعاقبك الله بنار جهنم - إلى «الدين»؛ لأن ضميرك سوف يؤنبك - إلى «الضمير»....فالعقل الذي يجبرك أن تحترم نفسك بوصفك إنساناً يحتم عليك أن تكون أميناً - هنا أردُّ الفعل الأخلاقي إلى الواجب العقلي كما فعل كانط» (إمام، ١٩٨٥، ٧)

ومن هنا نجد أن د. إمام (١٩٣٤-....) يقسم مجال الأخلاق إلى مستويين: التربية الأخلاقية: النصح والوعظ، والإرشاد، ونسميه الآداب العامة، وما يتبعها من نصح وإرشاد وتوجيه، والبحث الفلسفي الذي يغوص في أعماق المستوى الأول؛ سعياً وراء الأسس الأولى، والمبادىء البعيدة التي تقوم عليها هذه الفضائل الأخلاقية، وهو فلسفة الأخلاق التي تسعى إلى نقد هذه الفضائل وتقييمها، والكشف عن المبادىء التي تنطوي عليها.

أما الإمـام أبوحامد الغزالي (١٠٥٨م-١١١١م) فيعرف الخلق على أنه:» هيئة في النفس راسخة، عنها تصدر الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروِيّة، فإن كانت الهيئة حيث تصدر عنها الأفعال الجميلة المحمودة عقلاً وشرعـاً سميت تلك الهيئة خلقـاً حسنـاً، وإن كان الصادر عنها الأفعال القبيحة سميت الهيئة التي هي المصدر خلقا سيئـاً». (الغزالي، ٢٠٠٤، ٥٢)

وإذا كـان التعريف اللغوي للأخلاق يـراوح بين الفطرة والكسب فإن هذا ينسحب على التعريف العلمي والفلسفي للأخلاق، وهنا نلحظ أنّ ثمة جدل فيما إذا كانت الأخـلاق فطرة في الإنسان، أم أنها مجرد تعاليم وإرشادات يمكن لأي إنسان كسبها بالتربية والدربة، أم أنها مزيج من الفطرة، والكسب في آن واحد، وما موقع الإرادة بينهما.

يقول أرسطوطاليس: (٣٨٤ – ٣٢٢) ق م: « فيما يتعلق بالفضيلة لا يكفي أن يعلم ما هـي، بل يلتزم زيـادة على ذلك رياضتها على حيازتها، واستعمالها، وإيجاد وسيلة أخرى لتصيّرنا فضلاء وأخياراً، ولوكانت

الخطب والكتب قادرة وحدها على أن تجعلنا أخياراً لاستحقت كما يقول تيوغنيس- أن يطلبها كلّ الناس، وأن تشترى بأغلى الأثمان، ولكن لسوء الحظ- كلّ ما تستطيع المبادىء، في هذا الصدد هو أن تشدّ عزم بعض فتيان كرامعلى الثبات في الخير، وتجعل القلب الشريف بالفطرة صديقاً للفضيلة، وفياً بعهدها». (رسطوطاليس، ١٩٢٤، ٣٦٦)

ويختلف الكاتب الفرنسي ليفي بريل (١٨٥٧- ١٩٣٩ م) مع رأي كهذا تماماً، فينكر الفطرة بوصفها أساساً تتكىء عليه الأخلاق، وتنبع منه القواعد والمبادىء التي ترشده للتمييز بين الفضيلة والرذيلة، ولا يعترف أنّ الإنسان أخلاقي بطبعه، ولا يعتبره يتلقى نوراً علوياً يرشده للخير والشّر، كما أنه ينكر وجود مبدأ داخلي في الإنسان يملي عليه معرفة الخير والشر، وما يسمّى الضمير.

فهو لا يعتقد أنّ الإنسان أخلاقي بطبعه كما هو عاقل بطبيعته، ولا يوافق أبداً على التسليم بأن الإنسان يتلقى نوراً علوياً يكشف له عن التفرقة بين الخير والشرّ، يقول

إن هناك معنى للأخلاق هو: «معنى آخر غير المعنى الميتافيزيقي، أي أنه يعيش دائماً في مجتمع وأنه توجد عادات خلقية وتقاليد تفرض نفسها وإلزامات وأمور محرمة (تابو) في كلّ مجتمع.... وما علينا إلا أن نشبه «الأخلاق الطبيعية «المزعومة «بالديانة الطبيعية» التي تربطها صلات قوية جداً». (بريل، ١٩٥٣، ٢٨٨)

ومما يشار إليه أن العرب قبل الإسلام وبعده عرفوا وثاقة الرابط بين الطبع والأخلاق، ورجحوا أنّ الأخلاق تعود للفطرة أساساً قبل عودتها للتربية.

قال ذوالإصبع الذبياني:

كــلّ امــــرئ راجـــع لـشـيـمـتـه

وإن تخلق أخـلاقـاً إلـى حين

وقالت أعرابية رأت بطش ذئب ربته بشاة لها:

إذا كــان الـطـبـاع طـبـاع سـوء

فـلـيـس بـنـافـع فـيـهـا أديــب

(الذبياني، ١٩٤٢، ١٣)

وكذلك فرق الباحثون بين مفهومين أساسيين هما: الأخلاق العملية، والأخلاق النظرية، وأن الأولى سابقة على الثانية كون الأخلاق العملية هي ضرورة نشأت بظهور المجتمعات الإنسانية، فيما جاءت الثانية بفعل التقدم، والحضارة لتدرس الأسس التي تتكىء عليها الأولى.

فالفلسفة الخلقية أوالأخلاق النظرية تأخرت في الظهور، فهي وليدة التقدم والحضارة، أما الأخلاق العملية فهي من لوازم الوجود الإنساني، فقد نشأت مع مشكلات الحياة، وهي مشكلات قديمة قدم الإنسان، ومن ثمّ نجد أن الأخلاق النظرية تضع المبادئ والنظريات والأصول، أما العملية فتبحث في التطبيقات العملية لهذا السلوك داخل إطار زماني ومكاني معين.

ومن هنا كانت قيم الأخلاق النظرية عامة كلية، بينما قيم الأخلاق العملية خاصة جزئية، الأولى تقدم الأنماط والقوالب الثابتة، والثانية تعطي المضمون والمادة المتغيرة.

يقول ليفي بريل ا(١٨٥٧-١٩٣٩م): «لا تختلف الأخلاق النظرية عن الأخلاق العملية اختلاف الرياضة البحتة عن الرياضة التطبيقية، إذ الحقيقية أنّ موضوع كلّ من الأخلاق النظرية، والأخلاق العملية هي تحديد السلوك، ولكن الأخلاق النظرية تحاول الصعود نحو أسمى صيغة تعبر عن الإلـزام أو الخير أوالـعـدل، في حين الأخـلاق العملية تهبط إلـى التفاصيل الجزئية، فالأولى تعبر عن درجـة أسمى من التجريد والعموم والتنظيم، إضافة إلى أنّ المذاهب الخلقية النظرية ليست كذلك...». (بريل، ١٩٥٣، ٦٤)

وبالتالي لا بدّ من النظر إلى فلسفة الأخلاق بوصفها جـزءاً من منظومة متكاملة تحيط بالمجتمع، وتسهم في تشكله، فلا يمكن فصلها عن الواقع الاجتماعي أوالسياسي والعلمي والديني.. إلا أنها قد استطاعت أن تستقل بالتحاقها بالفلسفة، باعتبارها دعامة رئيسة من دعائم الفلسفة ابتداء من الصين ومـروراً باليونان، وغيرهما، وبالتالي صار انفصالها عن الدين بالتحديد أمراً قلقـاً، إذ انتقلت من كونها أوامر إلهية إلى كونها واجبـاً، -

بحسب بعض الفلاسفة – وأنّ هذا الواجب قد حلّ محلّ تلك الأوامر في إلزام الناس بالسلوك الأخلاقي.

يقول ليفي بريل: «التقاليد الأخلاقية ما زالت ظاهرة عامة حتى يومنا، فإن معظم الناس يتمثلون القوانين الأخلاقية كما لو كانت أوامر إلهية، أو يعتقدون أنهم لا يستطيعون أن يكيفوا سلوكهم بها، دون الالتجاء إلى الرحمة الإلهية أو دون معونة إلهية. (بريل، ١٩٥٣، ٢١٥)

كما يفرق الباحثون بين مفهوم الأخلاق في الفلسفة، ومفهومها في علم الاجتماع، ذلك أنّ الفلسفة تعطيها سمة العمومية التي تمنحها القيمة المعيارية، لتكون صالحة لكلّ زمان ومكان، باعتبارها قوانين يقاس عليها السلوك الإنساني، ومن ثمّ يكون للإرادة دور في تشكل السلوك الأخلاقي لدى الفرد.

أما علم الاجتماع فيلزم الفرد أن يستمد سلوكه من الإطار المجتمعي العام حوله، دون أن يكون له دور وإرادة في ذلك باعتباره جزءاً من كلّ..ومما تقول به

المدرسة الاجتماعية: «أن الإنسان الذي يعيش في مجتمع معين، لا بدّ أن يعكس المبادىء الأخلاقية والعادات السائدة في مجتمعه... ولذلك فإن الإنسان يحكم على الأفعال والتصرفات، لا من خلال ضميره فحسب، بل من خلال ضمير المجتمع». (بدوي، ١٩٩٤، أ)

وأجد أن حركة التاريخ قد أثبتت صيرورة فلسفة الأخلاق، وتطورها عبر الأزمنة والمذاهب المختلفة، وكذلك انتكاستها وتراجعها في أزمنة وأمكنة أخرى، فهي متحركة كأي شأن من شؤون العلوم والفلسفات الأخرى، إذ إنّ الأخلاق القديمة في معظمها كانت مستمدة من الدين، وظلت كذلك حتى بداية عصر ما قبل سقراط كالفيتاغورية، وشعر الملاحم عند هو ميروس، وهزيود، ومصر القديمة، والهند، وفارس، ثمّ أصبحت الأخلاق جزءاً من الفلسفة إبّان العصور اليونانية، ثم تراجعت لتعود إلى الدين في الأفلاطونية المحدثة، وكذلك في العصور الوسطى، ثم عادت إلى الفلسفة في عصر النهضة، «واليوم نشهد حركة قوية لطرد

الميتافيزيقيا[1] من ميدان الأخلاق، تكاد توازي إن لم تكن تفوق حركة طرد الدين من هذا الميدان أيضـًا».. (مرحبا، ١٩٩٥، ٢٠)

نتبين مما سبق كيف تراوحت الأخلاق في مفهومها بين الدين والفلسفة بكافة اتجاهاتها، ومن اللافت أنّ تطورها وازدهـارهـا كانا يتزايدان كلما ذهبت باتجاه الفلسفة، نابذة وراءها كلّ ما هو قسري يحدّ من الإرادة والـقـوة، بينما تضعف وتضمحل كلما اتجهت نحو المسلمات والقوانين الثابتة الجامدة الخارجة عن إرادة الإنسان، المحجمة لطاقاته وقوته.

---

(١) الميتافيزيقيا: هي علم ما بعد الطبيعة، وهو العلم الـذي يتأمل الموجودات المحسوسة..وهي العلوم النظرية التي تبحث الأشياء اللامادية كالوجود عموما لا سيما الله والكائنات العقلية التي خلقها على شكله..وهي أيضا معرفة الأشياء في ذاتها، لا معرفة الظواهر التي تتجلى من خلالهاهذه الأشياء، وهي دراسة الأشياء من منظور الأزل، أي من حيث هي جواهر وماهيات ثابتة وأزلية، لا من منظور تاريخي وزماني، أي من حيث هي متغيرة وزائلة. فالميتافيزيقا، عموما هي بحث المطلق واللامشروط، وبحث في المبادىء والعلل الأولى لجميع الأمور. (جلال الدين سعيد، معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية، دار الجنوب-تونس، ٢٠٠٤، ص٤٦٠)

الفصل الثاني

فلسفة الأخلاق في الديانات السماوية

١. الأخلاق اليهودية

تستند الأخلاق اليهودية كما المسيحية والإسلام فيما بعد إلى الكتب المقدسة والتعاليم الإلهية، فإضافة إلى التوراة، هناك التلمود «Talmud » الذي يعتبر مصدر التشريع الرئيس لليهود، وهو الكتاب الذي يحتوي على التعاليم اليهودية الشفوية: الكتاب العقائدي الذي يفسر ويبسط كلّ معارف الشعب الإسرائيلي وتعاليمه وقوانينه الأخلاقية وآدابه «ويتكون التلمود من جزأين هما المشناة والجمارة.[١]

«ويدّعي حاخاميم اليهود (الربانيون) أن موسى –عليه السلام– هو المصدر الأول لهذا الكتاب، ويفسرون ذلك بقولهم: إن موسى قد تسلم من الله أيضاً تفسيرات

(١) المنشاة: وهو الجزء الأول والرئيس للتلمود كله، وقد اعتمد اليهود في كل مكان على هذا الكتاب، وأنه المرجع الرسمي الموثوق به لقانونهم. والجمارا: تكونت من مناقشات ومناظرات علمائهم حول محتويات المشناة، وألف الحاخامات هذه الشروح في فترة طويلة، تمتد من القرن الثاني إلى أواخر القرن السادس بعد الميلاد (المشناة والجمارا)، وقد اطلق عليهما اسم التلمود.

وشروحا لهذا القانون، وهو ما يدعى بالقانون الشفوي، أوالقانون الثاني، ويطلقون عليه اسم torah shebeal peh». (الشرقاوي، ١٩٩٣، ١١)

يقول الحاخام فابيان: «الحياة اليهودية – حتى هذا اليوم – مؤسسة إلى حد ّكبير على التعاليم والأسس التلمودية، فطقوسنا وكتاب صلاتنا، واحتفالاتنا، وقوانين زواجنا، بالإضافة إلى قوانين وأسس أخرى كثيرة مستخرجة مباشرة من التلمود». (الشرقاوي، ١٩٩٣، ١٥)

من هنا أرى أن التلمود – بالنسبة لليهود – سلطة إلهية إلزامية ثابتة، ومنها يستمدون فلسفتهم الأخلاقية باعتبارها ربّانية، لا حول لهم فيها ولا قوة، وبالتالي الإرادة محيّدة عن التدخل في تلك الأخلاق.

وفي حين أعطت كلّ الشرائع الدينية صفة القداسة والعظمة والرهبة للإله المعبود من قبلها، جاء التلمود فجرّد الله من تلك الصفات وأنسنه، وجعله يقع في كلّ الخطايا التي يقترفها البشر آنذاك، مستمدّاً ذلك من فكرة

أن الله جعل اليهود شعبـًا مدللاً لديه، مما منحه صلاحية أن يحاسب خالقه ويحاكمه. يقول التلمود: «إنّ الله يندم لأنه ترك اليهود في حالة من التعاسة، حتى أنه يلطم ويبكي، فتسقط من عينيه دمعتان في البحر، فيسمع دويهما من بدء العالم إلى منتهاه، وترتجف الأرض فتحدث الزلازل.... ويقول: «إن الله غضب يومـًا على بني إسرائيل، وحلف بحرمانهم من الحياة الأبدية، ولكنه ندم على ذلك بعد أن زال طيشه وتهوره، ولم ينفذ ذلك اليمين، لأنه عرف أنه ارتكب عملاً ضدّ العدالة». (صبري، ٢٠١١، ١٤)

وكذلك اتسمت أخلاق اليهود ومعتقداتهم بالغرابة في نظرتهم للأنبياء والقديسين، فبينما نجد جميع أديان البشرية تحرص على تنزيه أنبيائها وقديسيها، نلحظ أنّ اليهود خالفوا ذلك، ولم يتورّعوا عن إلحاقهم بكلّ الخطايا والذنوب والصفات اللاأخلاقية، ويذكرون هذا في أسفارهم صراحة: «لوط يجامع بناته وهو سكران وينجبن منه مؤاب أبا المؤابيين، وابن عمي وهو أبو بني عمون إلى اليوم، وكذلك نوح يسكر، ويعقوب يسرق، ويهوذا يزني بزوجة ابنه، وداوود يزني بزوجة أوريـا،

وسليمان يختم حياته بعبادة الأصنام، وهارون يصنع العجل الذهبي ويعبده». (سفر التكوين، الإصحاح التاسع عشر، ص٣١.)

وبالرغم من وقع هذه الأفكار الصادمة على مسامعنا إلا أننا لسنا بصدد تقويم آرائهم تلك في هذه الدراسة، بل نكتفي بعرضها بعد استنباطها من مصادر تشريعاتهم المعتمدة لديهم، وكما تمّ وضعها والعمل بها وتقديسها، ومن اللافت أنّ أخلاق اليهود - بحسب تشريعاتهم- متناقضة، ومزدوجة، إذ أنهم يشرعون نوعين من الأخلاق: نوع موجّه باتجاه اليهود بعضهم تجاه بعض فقط، أما النوع الآخر فلهم أن يتجاوزوا معه كلّ ما هو أخلاقي، ففلسفة الأخلاق لديهم هي فلسفة عرقية عنصرية بشكل متطرف، تدفع باتجاه الحفاظ على اليهود فقط، وذلك من خلال تعزيز شعورهم بالطبقية العرقية على بني البشر.

وهذا ما دفعهم إلى الصراع الدائم مع كلّ البشر لاعتقادهم بأنّ البشر وممتلكاتهم مسخرون لهم، فالأسفار اليهودية تلهمهم بأنهم مضطهدون مكبوتون؛

لهذا تكون ردة فعلهم بالتعالي والأنانية والعزلة، فيندفعون نحو الآخر بالخيانة والغدر والاحتيال والخداع والتآمر والقتل والسرقة والنهب، وتسويغ أية وسيلة لا أخلاقية للوصول إلى غاياتهم، ومن ثمّ صاروا مكروهين عند كلّ شعوب الدنيا، وصبت عليهم الكثير من الدول سخطها، قديماً من الآشوريين والبابليين والرومان، وحديثا من الروس والبولونيين والألمان..إلخ.

وفيما يتعلق بالمرأة من الأغيار، فهي مستباحة من قبل اليهودي، تقتل وتغتصب وتحاسب هي على ذلك أيضا!. يقول موسى بن ميمون (١١٣٥- ١٢٠٤ م): « العقوبة الرئيسية تنزل بالمرأة من الأغيار، إذ يتوجب إعدامها وإن كانت قد اغتصبت من يهودي: فإذا مارس يهودي الجنس مع امرأة من الأغيار، ولوكانت طفلة في الثالثة من عمرها، أوبالغة، ولوكانت متزوجة أوغير متزوجة، ولوكان اليهودي قاصراً في التاسعة من عمره بالإضافة إلى يوم واحد، ينبغي قتل المرأة، ولأن تعمد الاتصال بها جنسيا كما هو الحال مع الحيوان، ويكون

اليهودي قد أوقع نفسه في مشكلة عن طريقها وينبغي أن يجلد...... .

كما تتحدث التعاليم التلمودية عن إمكانية إلحاق الضرر بالأغيار، إن لم يتمكن اليهودي من إيذائهم بشكل مباشر، فاليهودي: «يستطيع أن يؤذيهم بشكل غير مباشر، كأن يزيل السلم مثلاً بعدما يكون الشخص المعين قد سقط في هوة». (شاحاك، ١٩٩٧، ١٣٠)، وكذلك في أمر التعامل بالربا، «للأجنبي تقرض بربا ولأخيك لا تقرض بربا». (سفر التثنية، الإصحاح الثالث والعشرون، ص٣١٦)

ويعتقد اليهود بما يسمى «قاعدة طهارة السلاح»: «حسب التلمود الهالاخاه[١]، ينبغي الافتراض في زمن الحرب أنّ الأغيار آتون لقتلك،...من هنا يبررون حالات القتل الجماعي في كفر قاسم ١٩٥٦ ...لأجل مبدأ طهارة السلاح نجا القاتلون من المحاكمة والعقاب». (شاحاك، ١٩٩٧، ١٣٥)

---

(١) الهالاخاه: بالعبرية، تعني السير أوالمذهب، أي الشريعة اليهودية، وهي مجمع القوانين، التقاليد والإرشادات الدينية المفروضة لمن يتمسك بالديانة اليهودية. وتشمل ٦١٣ وصية.

وتعتبر السرقة من اليهود ممنوعة منعاً باتاً، ومن الأغيار مسموحة، حين يكونون تحت حكمهم، وكذلك السلب بالقوة، ومن هنا برروا سلبهم لممتلكات الفلسطينيين، وساند ذلك أغلبية يهودية ساحقة....تقول التوراة: «متى أتى بك الرب إلهك إلى الأرض التي أنت داخل إليها لتمتلكها وطرد شعوباً كثيرة من أمامك، الحثيين، والجرجاشيين، والأموريين، والكنعانيين، والعرزيين، والحويين، واليبوسيين، سبع شعوب أكثر وأعظم منك ودفعهم الرب إلهك إمامك وضربتهم فإنك تحرمهم لا تقطع لهم عهداً ولا تشفق عليهم». (سفر التثنية، الإصحاح السابع، ص ٢٩٠)

«حِينَ تَقْرُبُ مِنْ مَدِينَةٍ لِكَيْ تُحَارِبَهَا اسْتَدْعِهَا إِلَى الصُّلْحِ ١١، فَإِنْ أَجَابَتْكَ إِلَى الصُّلْحِ وَفَتَحَتْ لَكَ فَكُلُّ الشَّعْبِ الْمَوْجُودِ فِيهَا يَكُونُ لَكَ لِلتَّسْخِيرِ وَيُسْتَعْبَدُ لَكَ. ١٢وَإِنْ لَمْ تُسَالِمْكَ بَلْ عَمِلَتْ مَعَكَ حَرْبًا، فَحَاصِرْهَا. ١٣وَإِذَا دَفَعَهَا الرَّبُّ إِلهُكَ إِلَى يَدِكَ فَاضْرِبْ جَمِيعَ ذُكُورِهَا بِحَدِّ السَّيْفِ. ١٤وَأَمَّا النِّسَاءُ وَالأَطْفَالُ وَالْبَهَائِمُ

وَكُلُّ مَا فِي الْمَدِينَةِ، كُلُّ غَنِيمَتِهَا، فَتَغْتَنِمُهَا لِنَفْسِكَ.»
(سفر التثنية، الإصحاح العشرون، ص ٣١٠)

وبناءً على ما سلف نجد أنّ فلسفة الأخلاق عند اليهود قائمة على العنصرية، إذ تقترن مقاييس الصحة والخطأ بديانة الشخص المقابل، أي فيما إذا كان من يتعاملون معه يهوداً، أم غير ذلك، فمع الغير تنقلب المعايير، ويتحول فعل الرذيلة إلى فضيلة يكافأ عليها اليهودي إن قام بها نحو الآخر، وهذا ما يجعلهم لا يشبهون أحداً ممن سبقهم أو تلاهم من شعوب الأرض في فلسفتهم الأخلاقية هذه.

وفيما يتعلق بالإرادة والقوة فكل شيء رهن بالتعاليم الدينية، فلا إرادة فردية لديهم وإنما هي إرادة جماعية، باعتبارهم شعب الله المختار، فقد تدخلوا في صنع تعاليم إلهية تحاول أن تجعل منهم فئة مختارة من البشر، مما حولها إلى ديانة عنصرية بعيدة عن القوة المستندة إلى العدالة الإنسانية، بل إن العدالة بالنسبة لهم هي كلّ ما يصب في مصلحة اليهودي دون غيره من البشر، والمريب

في هذه الأفكار الأخلاقية أنها منسوبة إلى الرّب، ومن ثمّ بات تحقيقها واجبا دينيا لا يمكن الحياد عنه.

٢. الأخلاق في المسيحية:

تستند هذه الأخلاق إلى الديانة المسيحية المتمثلة في كتابها المقدس: العهد الجديد» الإنجيل، إضافة إلى أعمال الرسل، والأناجيل المعترف بها من قبل جميع الكنائس هي: (إنجيل متى، مرقس، لوقا، يوحنا)، والأناجيل جميعها تعنى بحياة المسيح وأقواله ومواعظه، أما رسائل الرسل فهي شرح للتعاليم الدينية.

وقد اعتبرت المسيحية في بدايتها امتداداً للفكر اليهودي، لكنها كانت أكثر بساطة وتسامحًا، والعهد الجديد اتسم بالتشاؤم إذ اهتم بالخطيئة واحتقار الأهواء والشهوات الإنسانية، واعتبر أنّ الخلاص لا يتحقق إلا باللطف الإلهي لا بالأعمال الأرضية، واتسم بالتفاؤل في الوقت نفسه؛ لوجود البشارة المسيحية وحبّ الآخرين والإحسان والمحبة والمغفرة، إذ أطلقت شعار:»الله محبة«.

وكذلك ظهرت أفكار تزمتية تدعو إلى الصرامة وعدم التساهل، كما ظهرت الأخلاق العقلية، وظهرت الفضائل الأربع: (العفة والحكمة والشجاعة والعدالة)، وهي تمازج بين أفكار أرسطو، والوحي المسيحي، إضافة إلى فضائل لاهوتية أخرى هي الإيمان والإحسان، والتفاني، والتواضع، والزهد في الدنيا وتفضيل الحياة الآخرة عليها...

«احْتَرِزُوا مِنْ أَنْ تَصْنَعُوا صَدَقَتَكُمْ قُدَّامَ النَّاسِ لِكَيْ يَنْظُرُوكُمْ، وَإِلاَّ فَلَيْسَ لَكُمْ أَجْرٌ عِنْدَ أَبِيكُمُ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ». (إنجيل متى، الإصحاح السادس، آية ١، ص٨)

«لاَ تَكْنِزُوا لَكُمْ كُنُوزًا عَلَى الأرض حَيْثُ يُفْسِدُ السُّوسُ وَالصَّدَأُ، وَحَيْثُ يَنْقُبُ السَّارِقُونَ وَيَسْرِقُونَ. بَلِ اكْنِزُوا لَكُمْ كُنُوزًا فِي السَّمَاءِ، حَيْثُ لاَ يُفْسِدُ سُوسٌ وَلاَ صَدَأٌ.» (إنجيل متى، الإصحاح السادس، آية ١٩)

وقد أكدت المسيحية احتقار المال وتمجيد الأجر السماوي، واعتبرت المال سيداً بمثابة إله يوازي إله السماء، ودعت إلى نبذه وعبادة إله السماء.

«لاَ يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يَخْدِمَ سَيِّدَيْنِ، لأَنَّهُ إِمَّا أَنْ يُبْغِضَ الْوَاحِدَ وَيُحِبَّ الآخَرَ، أَوْيُلاَزِمَ الْوَاحِدَ وَيَحْتَقِرَ الآخَرَ. لاَ تَقْدِرُونَ أَنْ تَخْدِمُوا اللهَ وَالْمَالَ. «لِذلِكَ أَقُولُ لَكُمْ: لاَ تَهْتَمُّوا لِحَيَاتِكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَبِمَا تَشْرَبُونَ، وَلاَ لأَجْسَادِكُمْ بِمَا تَلْبَسُونَ. أَلَيْسَتِ الْحَيَاةُ أَفْضَلَ مِنَ الطَّعَامِ، وَالْجَسَدُ أَفْضَلَ مِنَ اللِّبَاسِ؟ (إنجيل متى، الإصحاح السادس، آية ٢٤، ص١٠)

ونجد أن الأخـلاق في المسيحية تقوم على إنكار الذات، وكبت الغرائز الفطرية في الإنسان الطبيعي من رغبات.

إنها أخلاق فردية، ولا تعنى بالمجتمعات، بل إنها أدت إلى انقسام المجتمع المسيحي إلى: الرهبان والقساوسة ممن هم قادرون على تطبيق تلك الأخلاقيات القاسية من جهة، وعامة الشعب ممن لم يتمكنوا من الانصياع التام لتلك الأخلاق من جهة أخرى، كما دعت إلى التسامح الشديد حدّ التفريط بحقوق الذات والصبر على الأذى.

(٣٨)«سَمعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ: عَيْنٌ بعَيْن وَسِنٌّ بسِنٍّ(٣٩)، وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: لاَ تُقَاومُوا الشَّرَّ، بَلْ مَنْ لَطَمَكَ عَلَى خَدِّكَ الأَيْمَن فَحَوِّلْ لَهُ الآخَرَ أَيْضًا،(٤٠)، وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يُخَاصمَكَ وَيَأْخُذ ثَوْبَكَ فَاتْرُكْ لَهُ الرِّدَاءَ أَيْضًا(٤١)، وَمَنْ سَخَّرَكَ ميلاً وَاحدًا فَاذْهَبْ مَعَهُ اثْنَيْن٤٢، مَنْ سَأَلَكَ فَأَعْطِه، وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَقْتَرِضَ مِنْكَ فَلاَ تَرُدَّهُ.» (إنجيل متى، الإصحاح الخامس، آية (٣٨-٤٢)، ص٨)

ونزيد على ذلك أنّ المسيحية خالفت اليهود في وضع أخلاق خاصة وأخلاق للأغيار، بل إنها وضعت أخلاقاً للإنسانية برمتها فأمرت بمحبة الأعداء، وليس الأغيار فحسب والتسامح معهم.

«سَمعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ: تُحبُّ قَرِيبَكَ وَتُبْغضُ عَدُوَّكَ(٤٤)، وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: أَحِبُّوا أَعْدَاءَكُمْ. بَارِكُوا لاَعِنِيكُمْ، أَحْسنُوا إلى مُبْغضيكُمْ، وَصَلُّوا لأَجْلِ الَّذينَ يُسيئُونَ إلَيْكُمْ وَيَطْرُدُونَكُمْ(٤٥)، لِكَيْ تَكُونُوا أَبْنَاءَ أَبيكُمُ الَّذي فِي السَّمَاوَاتِ.» (إنجيل متى، الإصحاح الخامس، آية (٤٣-٤٥)، ص٨)

الأخلاق المسيحية في العصور الوسطى

انقسمت هذه الأخلاق إلى قسمين:

- الأخلاق التي جاء بها المسيح، وتمَثلها قولاً وعملاً ونطق بها الإنجيل وطبقها بسلوكه وتبعه الحواريون، وهي تخاطب القلب أكثر من العقل، وتعتمد الوحي لمعرفة الخير والشر أكثر من اعتمادها النظر والتفكير الحرّ:

(٣) «طُوبَى لِلْمَسَاكِينِ بالرُّوحِ، لأَنَّ لَهُمْ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ. (٤) طُوبَى لِلْحَزَانَى، لأَنَّهُمْ يَتَعَزَّوْنَ.

(٥) طُوبَى لِلْوُدَعَاءِ، لأَنَّهُمْ يَرِثُونَ الأرض. (٦) طُوبَى لِلْجِيَاعِ وَالْعِطَاشِ إلى الْبِرِّ، لأَنَّهُمْ يُشْبَعُونَ. (٧) طُوبَى لِلرُّحَمَاءِ، لأَنَّهُمْ يُرْحَمُونَ. (٨) طُوبَى لِلأَنْقِيَاءِ الْقَلْبِ، لأَنَّهُمْ يُعَايِنُونَ اللهَ. (٩) طُوبَى لِصَانِعِي السَّلاَمِ، لأَنَّهُمْ أَبْنَاءَ اللهِ يُدْعَوْنَ. (١٠) طُوبَى لِلْمَطْرُودِينَ مِنْ أَجْلِ الْبِرِّ، لأَنَّ لَهُمْ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ. (١١) طُوبَى لَكُمْ إِذَا عَيَّرُوكُمْ وَطَرَدُوكُمْ، وَقَالُوا عَلَيْكُمْ كُلَّ كَلِمَةٍ شِرِّيرَةٍ، مِنْ أَجْلِي، كَاذِبِينَ. (١٢) اِفْرَحُوا وَتَهَلَّلُوا، لأَنَّ أَجْرَكُمْ عَظِيمٌ

فِي السَّمَاوَاتِ، فَإِنَّهُمْ هكَذَا طَرَدُوا الأَنْبِيَاءَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ.»
(إنجيل متى، الإصحاح الخامس، آية (٣-١٢)، ص ٧)

وما يميز هذه الأخلاق أنها تخاطب كافة الطبقات، ولا تدعو للتعالي والعنصرية والطبقية، بل إنها تنحاز إلى الطبقة الشعبية، وهي ديانة عاطفية تحتفي بالضعفاء، وتمجّد الفقراء، ومرجعيتها الأساسية هي الأوامر الإلهية، لا دور كبير فيها للإرادة والتفكير، إلا بشأن إدارة تلك الأوامر السماوية، فكلّ ما حثّ عليه الدين هو خير، وما نهى عنه هو الشرّ.

- الأخلاق المسيحية المفلسفة: هي تلك التي أفرزتها عقلية المفكرين المتدينين، في محاولة لإيجاد أسس نظرية للأخلاق الدينية، وهؤلاء يقسمون إلى قسمين:

طائفة المحافظين:

وهم أولئك الذين تركوا النص كي يأخذ طريقه نحوالقلوب دون مساس أوتأويل..يرجعون إلى الله في

تقدير الخير والشر، وليس للعقل دور في تقدير حسن الأفعال وقبحها، وهم اللاهوتيون مثل «بيتر أبيلارد - Peter Abelard» (١١٤٢م-١٠٧٩ م)، و«دونس سكوت Duns Scotus»[١] (١٢٦٠-١٣٠٨م) و «جيرسون Gerson» (١٨٨١م - ١٩٥٩م)، والسعادة القصوى لديهم هي أن يكون الإنسان محباً لله، وأن يكون محبوباً منه، والخير الأسمى لا يتحقق في الحياة الدنيا لأنّها لا تتسع له. (موسى، ١٩٥٣، ١٥٣)

طائفة المفكرين المتحررين:

صبغت الأخلاق بالصبغة الفلسفية، على يد «توما الإكويني Tommaso d'Aquino»[٢] (١٢٢٥-

(١) دنس سكوتس Duns Scotus، O.F.M. (ح. ١٢٦٦ - ٨ نوفمبر ١٣٠٨)، هو فيلسوف اسكتلندي، ولاهوتي فرنسيسكاني، وواحد من أبرز ثلاثة فلاسفة-علماء لاهوت في العصور الوسطى المتوسطة. له تأثير كبير على الفكر الكاثوليكي والعلماء.

(٢) القديس توما الأكويني، فيلسوف ولاهوتي إيطالي كاثوليكي شهير من أتباع الفلسفة المدرسية، طُوب قديساً. هو أحد علماء الكنيسة الثلاثة والثلاثين، ويعرف بأنه العالم الملائكي Doctor Angelicus، اعتبرته الكنيسة عالمها الأعظم، وظلت فلسفته التوماوية لوقت طويل المدخل الفلسفي الأساسي لمقاربة فكر

١٢٧٥م)، وفلسفته بنظر الدكتور «هنري سدجويك» (١٨٣٨-١٩٠٠) «هي في الأصل فلسفة أرسطوطاليسية تسودها مسحة من الفلاطونية المحدثة، أُوِّلَت ونوقشت في ضوء النظرية المسيحية، مستمدة من أوغسطين بوجه خاص، ويعتقد توما أنّ كلّ عمل أوحركة لكافة الكائنات الناطقة واللاناطقة، موجهة نحو غاية أوخير ما.» (سدجويك، ١٩٤٩، ٢٤٥)

يتساءل د. سدجويك»، إلى أيّ حدّ يستطيع الإنسان أن يحقق الكمال الطبيعي، والكمال المسيحي عبر فلسفة توما الإكويني الأخلاقية؟ ويجيب بأنّ هذا هو الجزء الذي يبدو اتساق عناصره المختلفة أضعف ما في مذهب توما.

ويشير إلى أن توما لا يكاد يفطن إلى أنّ مسيحيته التي جعلها أرسطوطاليسية تضم لا محالة مشكلتين مختلفتين في علاجها لهذا الموضوع: «أولهما: المشكلة الوثنية القديمة في التوفيق بين الاقتراح الذي يقول: إنّ

الكنيسة الكاثوليكية. وهو حامي الجامعات والكليات والمدارس الكاثوليكية.

الإرادة أو الغرض هو رغبة عقلية موجهة على الدوام نحو خير ظاهر، وبين حرية الاختيار بين الخير والشرّ، تلك الحرية التي يلوح لنا أنّها تعوز النظرة القانونية للأخلاق، وثانيهما: المشكلة المسيحية في جعل هذه الفكرة الأخيرة تتسق مع الاعتماد المطلق على الفضل الإلهي الـذي يؤكده الشعور الديني. ويتجنب توما المشكلة الأخيرة بافتراضه تعاونـاً بين الإرادة الحرة، والفضل الإلهي، أمّا المشكلة الأولى فإنه لم يخصها بعناية كبيرة». (سدجويك، ١٩٤٩، ٢٥١)

لذلك، أعتقد أنّ توما الإكويني أوّل من استطاع أن ينعطف بالمسيحية نحو الفلسفة، ويضفي عليها الطابع العقلي، فهو ممثل الفلسفة الدينية في العصر المدرسي، إذ استطاع أن يعلي قليلاً من شأن الإرادة، كونه اعترف بحرية الإنسان وقدرته على الاختيار في أمور محددة، إلا أنه سرعان ما يعود إلى الميتافيزيقيا حيث لا تكون السعادة إلا بالإتصال بالله، وبالتالي يكون قد قوّض إرادة الإنسان أمام السلطة الإلهية.

٣. الأخلاق في الإسلام

تتسم الحضارة العربية الإسلامية بأنها نهلت من موروثات الكثير من الأمم والحضارات العريقة الأخرى؛ بسبب المدّ الإسلامي الذي طال عدداً من الدول العظمى المحيطة بالجزيرة العربية، وكان للأخلاق عند تلك الأمم حظٌ وفير من إثراء المنظومة الأخلاقية السائدة عند العرب قبل الإسلام وبعده، إضافة إلى أنّ الأخلاق الإسلامية هي في الأصل مزيج من الأخلاق اليهودية والمسيحية، ومن عقائد الأمم السابقة التي صهرت وأعيد إنتاجها، بما يتواءم مع واقع العرب بعد الإسلام في الجزيرة وما حولها، ويرجع الباحثون مصادر التراث الأخلاقي في الإسلام إلى ثلاثة مراجع أساسية: «ديني: من القرآن والحديث والتوراة والإنجيل، وفلسفي: عن اليونان، وأدبي: عن الفرس والهند، يعني بصفة خاصة بما يدخل تحت عنوان السياسة المدنية». (موسى،١٩٤٢، ٩)

لكنّ المصدر الأساس للأخلاق الإسلامية هو الوحي الإلهي؛ لذا فثمة جزء كبير منها لا يقع تحت

الإرادة الإنسانية، بل يقع في باب التسليم بالأوامر الإلهية فحسب، باعتبارها هي مصدر الخير، وقد تجلت فلسفة الأخلاق الإسلامية في العصور الوسطى، وكانت تعود إلى مرجعين:

١-ما جاء به القرآن والسنة، يقول تعالى: «وإنك لعلى خلق عظيم». (سورة القلم، آية ٤)، وكذلك في قول الرسول_صلى الله عليه وسلم_: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخـلاق». (مسند أحمد بن حنبل، ج٢، ص١٨١)

٢-وما جاء به المفكرون الإسلاميون: وهي الأخلاق الإسـلامـيـة المفلسفة الـتـي جـاء بهـا المفكرون الإسلاميون متأثرين بالفلسفة الإغريقية على وجه الخصوص.

أما القرآن فتحدث في ناحيتين:

- الناحية النظرية:

الأسس والقواعد النظرية في الأخلاق الفلسفية، مثل الموقف من طبيعة الإنسان، ومصدر الإلزام والمسؤولية

الخلقية، وعناصر السلوك الإنساني وقواعده، أبرزها:
وحدة الأصل الإنساني: «يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى، وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا، إنّ أكرمكم عند الله أتقاكم» (الحجرات، آية ١٣)

المؤاخذة بالنوايا: إذ عبر عن ذلك بصيغة «كسب القلوب، أي ما أضمرت القلوب من نوايا حسنة أو سيئة، وليس بما تفوهت به الألسن فحسب، «لا يُؤَاخِذُكُمُ اللهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ، وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ» (البقرة، آية ٢٢٥)

- الناحية العملية:

المطابقة بين القول والعمل: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللهِ أَن تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ» (الصف، آية ٢ – ٣)

ويشمل الجانب العملي في الأخلاق: (الفرد والأسرة والمجتمع والدولة)

«إنّ الله يأمر بالعدل والإحسان، وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون» (سورة النحل، آية ٩٠)

وفي شؤون الدولة أكّد ضرورة الطاعة والولاء: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إلى اللهِ وَالرَّسُول إِنْ كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْم الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا». (سورة النساء، آية ٥٩)

العلاقة بالآخر:

وعن العلاقة بالآخر من غير المسلمين فثمة صرامة وحدّية، فإما القتل أوالجزية.

«قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ» سورة التوبة، الآية، ٢٩)

«إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي

الْأرض فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَويُصَلَّبُوا» (سورة المائدة، الآية: ٣٣)

أما في حالة السلم فقد حضّت الشريعة الإسلامية على حسن معاملة الناس عمومًا، وأهل الكتاب من اليهود والنصارى؛ إذا كانوا مسالمين، ولا يظهرون العداء والحرب، هنا تكون معاملتهم بالعدل والإحسان وعدم الإساءة إليهم، مع اشتراط دفع الجزية، قال الله تعالى: (لَا يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذينَ لَمْ يُقَاتلُوكُمْ فِي الدِّين وَلَمْ يُخْرجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ الله يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ) (الممتحنة:٨)، ويقول النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «مَنْ ظَلَمَ مُعَاهِدًا أَوْ انْتَقَصَهُ أَوْ كَلَّفَهُ فَوْقَ طَاقَتِهِ أَوْ أَخَذَ مِنْهُ شَيْئًا بِغَيْرِ طِيبِ نَفْس فَأَنَا حَجِيجُهُ يَوْمَ الْقِيَامَة.» (رواه أبو داود، وحسنه ابن حجر)

ومن صور هذه المعاملة جواز زيارتهم ومشاركتهم أفراحهم وأحزانهم، كما لا حرج في الأكل من طعامهم لقوله تعالى: (وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ) (المائدة، آية ٥)

وكذلك يجوز التعامل معهم بالبيع والشراء وغيرها من وجوه المعاملات الشرعية.. فقد قبل النبي _صلى الله عليه وسلم_ دعوة المرأة اليهودية إلى طعامها، وعاد الغلام اليهودي المريض، واستقبل وفد نصارى نجران في مسجده وأكرمهم فيه، واستمر هذا الحال في الخلافة الراشدة أيضا، ومثال على ذلك « العهدة العمرية» وهي الوثيقة التي أعطاها عمر بن الخطاب للنصارى في بيت المقدس، وأمنهم فيها على أنفسهم، وأموالهم، وكنائسهم، وغيرها من حقوقهم وحرياتهم.

الدنيا والآخرة:

كما حثّ الإسلام على المزاوجة بين الدنيا والآخرة، أباح ملذات الدنيا، لكنّه حثهم على العمل من أجل جزاء الآخرة، لأنّه الأبقى، «زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشهوات مِنَ النِّسَاء وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَإلخيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ، ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ». (آل عمران، آية ١٤)

«وابتغ فيما أتاك الله الدار الآخرة ولا تنسَ نصيبك من الدنيا وأحسِنْ كما أحسَنَ الله إليك ولا تبغ الفساد في الأرض إنّ الله لا يحب المفسدين». (القصص آية ٧٧)

ولم يترك الإسلام أمر الأخلاق للرغبات والأهواء، بل وضع ضوابط وقوانين تتكىء على «الترغيب والترهيب»، فكما رغّب في نعيم الجنة، مارس سياسة الترهيب والتوعد بالعذاب، لمن عصى الأوامر الإلهية، كوسيلة لدفع الإنسان إلى التزام الأخلاق التي أجمع عليها العرف والموروث الإنساني كالصدق والأمانة، والعدل، والرحمة.......إلخ.

«وَيْلٌ لِكُلِّ أَفَّاك أَثِيم (٧) يَسْمَعُ آيَاتِ الله تُتْلَى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَاب أَلِيم (٨) وَإِذا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شيئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ (٩) مِنْ وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ وَلَا يُغْنِي عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا شيئًا وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ الله أَوْلِيَاءَ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٠) هَذَا هُدًى وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رِجْزٍ أَلِيمٌ» (سورة الجاثية، الآيات من ٧-١٠)

إذن فالأخلاق الإسلامية مستمدة من الوحي الإلهي، وتستند إلى تعاليم القرآن والسنة النبوية الصحيحة، وهي تستشهد بالفطرة، لكنها أيضا تدعو للتعديل في السلوك الإنساني بواسطة التربية، واهتمت بالجوانب النظرية، كما ركزت أيضاً على الجانب العملي من السلوك الإنساني، ولم تترك هذه الأخلاق لخيار الأهواء والرغبات، بل إنها تحتكم إلى «الترغيب والترهيب»، في الدنيا والآخرة، محتكمة في كل ماسبق إلى القانون الإلهي المستمد من القرآن والسنة.إذن، لا دور للإرادة الإنسانية إلا في أن تدفع بالإنسان نحوالامتثال الكامل للإرادة الإلهية.

المفكرون والفلاسفة ممن كتبوا في الأخلاق.. أنموذجات مختارة

- **أبو يوسف يعقوب بن إسحاق الكندي (٨٠٥ هـ - ٨٧٣ هـ):**

من أوائل المشتغلين على الجمع بين أرسطو وأفلاطون، وعلى التوفيق بين الدين والفلسفة، تأثر بمحنة سقراط واستشهاده في سبيل الفضيلة، لذا ألّف عدة

رسائل في الأخلاق: منها: رسالة في خبر فضيلة سقراط، ورسالة في خبر موت سقراط، ورسالة في الأخلاق، ورسالة التنبيه على الفضائل، ورسالة في النفس وأفعالها.

«الأخلاق عنده هي إصلاح النفس بتحكيم العقل في القوتين الحيوانيتين في الإنسان، وهما الشهوة والغضب، إذ كان هذا المبدأ يونانيـًا، وهو الذي أثر عن سقراط وأفلاطون وأرسطو، فقد وفق الكندي، بينه وبين تعاليم الاسلام الخلقية والتي تعتمد أساسًا على الدين». (الأهواني، ١٩٦٦، ٣١٨)

• **الفارابي، أبوالنصر محمد بن محمد بن طرخان، (٢٦٠-٣٣٩) هـ:**

تأثر بسقراط في أنّ الفضيلة هي المعرفة، كما تأثر أيضا بأرسطو.. وكذلك بأفلاطون في قدرة العقل على الاستقلال في الحكم على الأشياء بالخير أوالشّر، كما يتفق مع أفلاطون في أنّ السعادة العظمى للنفس تتأتى إذا تخلصت من قيود المادة، وصارت عقلاً بالفعل.

يقول عن السعادة:»هي أن تصير نفس الإنسان من الكمال في الوجود، إلى حيث لا تحتاج في قوامها إلى

مادة..وفي جملة الجواهر المفارقة للمواد إلا أنّ رتبتها تكون دون رتبة العقل الفعال، وإنما تبلغ ذلك بأفعال لا إرادية، بعضها أفعال فكرية وبعضها أفعال بدنية.» (الفارابي، ٢٠٠٢، ١٦٤)

فهو يعتبر أنّ السعادة بوصفها معرفة الحقيقة هي الخير المطلق، وكل ما يعيق الوصول إليها هو شر مطلق، ..وهذا لا يتحقق إلا بالفلسفة التي تحصل بقوة الإدراك والقدرة على التمييز بين الحق والباطل، وامتلاك المنطق الذي يمكننا من اعتناق الحق وترك الباطل، إذن تتحقق السعادة فقط عن طريق الفلسفة بوصفها أعظم الخيرات، التي يصبو إليها الإنسان. كما دعا الفارابي إلى الزهد بحاجات الجسد فإنسانيته تتحقق عن طريق الحكمة والشوق الدائم إلى الاتصال بعالم المثل، والحقائق العلوية، ويعني الله تعالى.

- **إخوان الصفا وخلاّن الوفا (القرن الثالث الهجري):**

إخوان الصفا وخلان الوفا هم جماعة من فلاسفة المسلمين من أهل القرن الثالث الهجري والعاشر

الميلادي بالبصرة، اجتمعوا على التوفيق بين العقائد الإسلامية والحقائق الفلسفية المعروفة في ذلك العهد، فكتبوا في ذلك خمسين مقالة سموها «تحف إخوان الصفا»، وهنالك كتاب شبيه آخر ألفه «الحكيم المجريطي القرطبي» المتوفى سنة ٣٩٥هـ ، وسماه «رسائل إخوان الصفا».

ومن أبرز ما دعوا إليه أنهم حاولوا التوفيق بين الدين والفلسفة، معتقدين أنّ الشريعة دُنِّست بالجهالات، ولا سبيل لغسلها وتطهيرها إلا بالفلسفة...وأنّ الإنسان عندهم يكون خيراً، إذا عمل حسب ما تمليه عليه طبيعته الحقيقية، ومن مبادئهم أنّهم يبخسون حقّ الجسد، ويعتنون بالنفس لأنّ الإنسان في الحقيقة ما هو إلا تلك النفس، وأسمى غاياتهم أن يعيشوا مع سقراط واقفين أنفسهم على الأمور العقلية. قسموا الأخلاق على أساسي (الفطرة والكسب)، يقولون:

- «إن الأخلاق كلها نوعان، إما مطبوعة في جبلة النفوس مركوزة فيها، وإما مكتسبة معتادة من جريان العادة وكثرة استعمالها..» (إخوان الصفا، ١٩٥٧، ٣١٠)

• **بن مسكويه أحمد بن يعقوب، (٩٣٢-١٠٣٠ م):**

هـو أبــرز مـن كتب في الأخــلاق في نـطاق الفكر الإسلامي، له كتاب «تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق»، يلتقي مع أفلاطون في مذهب النفس وتقسيماتها، وأهم ما جاء به أن الخلق قابل للتغير، وإلا فهذا يبطل قوة التمييز والعقل، ويترك الناس همجاً مهملين، إذاً هو يؤكد على التربية الأخلاقية التي تتحقق نتيجة التعلم والاكتساب وفق أسس وضوابط تربوية دقيقة ومضبوطة.

ويرى أنّ الأخلاق لا تحصل بشكل انفرادي، بقدر ما تحصل داخـل الاجتماع الإنـساني حتى تصل إلى مرتبة الأخلاق الفاضلة، وقد اختلف مع السابقين في أنّ السعادة وليدة تفكير وتأمل فقط، أوعمل دؤوب فقط، بل رأى أنّ السعادة نتاج الأمرين معـًا، يقول: «الخيرات هي الأمور التي تحصل للإنسان بإرادته وسعيه في الأمور التي وجـد الإنـسان ومـن أجلها خلق، والـشرور هي الأمـور التي تعوقه عن هذه الخيرات، وإرادتـه وسعيه أو كسله وانصرافه، والخيرات قد قسمها الأولون إلى أقسام كثيرة، وذلك أنّ منها ما هي شريفة، ومنها ما هي

ممدوحة، ومنها ما هي نافعة، ومنها ما هي بالقوة، كذلك نعني بالقوة التهيؤ والاستعداد». (ابن مسكويه، ٢٠١٥، ٦)

بمعنى أنّ الأمور التي وجد الإنسان من أجلها وسعى فعلاً إلى تحقيقها هي الخير، أما المعيقات التي تعيقه عن تحقيق تلك الأمور والأهـداف فهي الشر بعينه... هكذا هو مفهومه عن الخير والشر، من هنا نلحظ أنّ ابن مسكويه تميز بتظهيره لدور الإرادة التي تدفع بالإنسان للتنقل به بين الخير والشر.

- **الغزالي: أبوحامد محمد أحمد الغزالي (١٠٥٨-١١١١م)**

نحا منحى أفلاطون ومـن تأثر به من المسلمين، كالفارابي، وابن مسكويه في تقسيم النفس إلى ثلاث قوى تنتج عنها ثلاث فضائل: الحكمة: فضيلة القوة الناطقة، والعفة: فضيلة القوة الشهوانية، والشجاعة فضيلة القوة الغاضبة، كما أضاف فضيلة رابعة هي العدالة.

وتعتبر هذه أمهات الفضائل، أمّا السعادة القصوى فلا تتحقق إلا في الآخرة، ويتأتى هذا بالعلم والعمل، ويتضح

ذلك في قوله: «إن النية والإرادة والقصد عبارات متواردة على معنى واحد، وهو حالة وصف للقلب، ويكتنفها أمران: علم وعمل.

والعلم يتقدم لأنّه أصل وشرط، والعمل يتبع لأنّه ثمرة وفرع، وذلك لأنّ كلّ عمل أعني كلّ حركة وسكون اختياري لا يتم إلا بثلاثة أمور: علم وإرادة وقدرة، لأنّه لا يريد الإنسان ما لا يعلمه، فلا بدّ وأن يعلم، ولا يعمل ما لم يرد فلا بدّ من إرادة، ومعنى الإرادة انبعاث القلب إلى ما يراه موافقاً للغرض، إما في الحال وإما في المال.» (الغزالي، ٢٠٠٤، ٣٨١)

ونلحظ هنا أنّ الغزالي يولي الإرادة جزءاً من اهتمامه، ورغم ذلك فهذه الإرادة هي باتجاه الامتثال لأوامر الله، وليست إرادة إنسانية بحتة.

نخلص، مما سبق، إلى أنّ معظم الفلاسفة الإسلاميين تأثروا بالفلسفة الإغريقية المتمثلة في أقطابها الرئيسة الثلاثة: سقراط، وأفلاطون وأرسطو، إضافة إلى تأثرهم ببعض المذاهب وأبرزها الرواقية، كما أنّ هذه الفلسفات

يغلب عليها النزعة العقلية، إضافة إلى فكرة أنّ السّعادة لا تحدث إلا بالتوحد مع الله، كغاية قصوى لتحقيق السعادة، وهذا يتأتّى بفعل التأمل والتحلي بالفضائل.

الفصل الثالث

الأخلاق في الثقافات القديمة

(بلاد الشرق – الإغريق)

الأخلاق في الثقافات القديمة

(بلاد الشرق – الإغريق)

يعتقد البعض أنّ الفلسفة بشكل عام، ولا سيما فلسفة الأخلاق بزغت لدى الإغريق فحسب، إلا أنّ تاريخ الفلسفة وجينيولوجيا الأخلاق أثبتا أنّ ثمة حضارات سبقت اليونان بآلاف السنين، وكان لها فضل عليها أيضًا، إذ يقدر عمر الفلسفة المصرية بستة آلاف قبل الميلاد، فيما يصل عمر الفلسفة الهندية أحد عشر قرنًا (١١٠٠٠) قبل الميلاد، والفارسية (٦٦٠ قبل الميلاد– ٥٨٣ قبل الميلاد)، والصينية ستة قرون (٦٠٠ ق.م)، توازيها الإغريقية ستة قرون قبل الميلاد (٦٠٠ ق.م). (موسى، ١٩٥٣ ١٤– ١٥) و (مرحبا، ١٩٩٥، ٥٥– ٥٦)

إلا أنّ هناك من ينكر ذلك التأثر، يقول الكاتب الفرنسي «بارتلمى سانتهيلير» في مقدمة كتاب الكون والفساد لأرسطو:»إنّ الفلسفة الشرقية لم تؤثر في فلسفتنا، ومع التسليم بأنها تقدمتها في الهند والصين وفي فارس وفي مصر؛ فإننا لمْ نَستعر منها كثيراً ولا قليلاً،

فليس علينا أن نصعد إليها لنعرف من نحن ومن أين جئنا، والأمر على الضدّ من ذلك مع الفلسفة الإغريقية، إننا بها نتصل بالماضي الذي منه خرجنا». (أرسطو، ٢٠٠٧، ٤)

بينما يرى آخرون عكس ذلك، «وشهد شاهد من أهله، فها هو ذا «ديودور الصقلي»[1] المؤرخ اليوناني الذي زار مصر بين عامي (٦٠-٥٧ق.م) يذكر أن بين الذين اتصلوا بمصر وعاشوا فيها من علماء اليونان وأدبائها وفلاسفتها هوميروس الشاعر اليونان، وليكورغ lycurgue «المشرع الإسبرطي، وصولون واضع قوانين أثينا، وفيثاغوروس، وديمقريطس وأفلاطون، وطاليس..» (موسى، ١٩٥٣، ١٤- ١٥) و (مرحبا، ١٩٩٥، ٥٥)، وأكد ذلك مؤرخ يوناني آخر هو «أفلوطرخس» « plutarque» الذي زار مصر في(١٢٠ ق. م)، وذلك في كتابه (إيزيس وأوزيريس). (موسى، ١٩٥٣، ٦٠)

---

(١) ديودور الصقلي (نحو ٨٠-٢١ق.م) ديودور الصقلي Diodorus Siculus مؤرخ موسوعي يوناني. ولد في مدينة أغريون الصقلية وعاش في عصر القوة للإمبراطورية الرومانية المترامية الأطراف، والتي تمتد على مساحات واسعة من القارات الثلاث القديمة.

أ- الأخلاق في بلاد الشرق: (مصر، الهند، فارس، الصين):

«فلسفة» الأخلاق في الثقافة المصرية (٦٠٠٠ ق.م):

الأخلاق إلهية: آمن المصريون القدماء بأنّ الكون خاضع لقوة إلهية تتولى تصريف شؤونه بحكمة وعدالة، وأنّ «الآلهة» اتخذت عرش مصر مستقراً لها، ولما أرادت أن تستبدل عرشاً في السماء بعرش الأرض استخلفت أبناءها من الفراعنة العظماء، بعد أن زودتهم بكلّ صنوف المعرفة؛ حتى يحكموا بين الناس بالعدل؛ وبذلك يحققون الخير للناس.

ويستند السلوك الأخلاقي لديهم إلى مبدأي الثواب والعقاب، بسبب إيمانهم بالحياة الأخرى التي يجازى فيها الإنسان على ما فعله في الدنيا..يقول الفيلسوف المصري القديم «فتاح حتب»:

«لا تستبد لئلا تضل، إن شئت أن تطاع فسل المستطاع، لا تكن يابساً فتكسر ولا لينا فتعصر، لا تَخُن من ائتمنك لتزداد شرفاً ويعمر بيتك، الزم الصمت إنْ لم يكن داع للكلام، لا تشته مال غيرك، لا تفرح بمال الظلم

فإنه سريع الـزوال، لا تتشاحن مع من لا يعرف قدرك، لا تعنف سيء الخلق أمـام الناس لئلا يهينك، تعرف الصاحب عند الشدة، الكثير الكلام تسهل معرفة باطنه».
(بسيوني، ١٩٩٧ ٦٥)

نلاحظ أن تلك الوصايا وردت وتكررت في الديانات السماوية بنصها أومضمونها، فهي تدعو للخير، ولكن امتثالاً للأوامر الإلهية العليا، كما نجد أنّ الأخلاق لدى المصريين القدماء هي أخلاق عملية: الشعور النظري الأخلاقي بالواجب يجعلهم يدركون معنى المسؤولية عن كلّ ما يصدر عن الإنسان من أفعال، والإرادة لها دور في تحويل القيم النظرية إلى واقع سلوكي، له أثر على الفرد والمجتمع.

«فلسفة» الأخلاق في الثقافة الهندية (١١٠٠ ق.م):

البراهمية أوالهندوسية:

وهي ديانة الأغلبية في الهند، قامت على أساسين: (وحدة الوجود، وتناسخ الأرواح).

وحدة الوجود: أي أنّ الكائنات جميعها صادرة عن إله واحد، وبالتالي فهي مظهر من مظاهره، فهو منبث فيها جميعـًا؛ لذا يمكنها أن تتحد به، وتعود إليه.

تناسخ الأرواح: إنّ الروح لا تفنى بفناء الجسد، بل تنتقل منه إلى جسم آخر، حتى تتطهر مما يمكن أن يكون قد علق بها في الجسم الأول.

انعكس هذا التوحد مع الآلهة في سلوك الناس، فأحبّ بعضهم بعضا، باعتبارهم وجميع الكائنات صادرون عن إله واحد، وأعرضوا عن ملذات الدنيا، وعاشوا حياة زهد وتقشف، وانتصارا للضعفاء، يقول «مانو» أحد مشرعي البراهمية:»الأطفال والمسنون والمرضى، يجب أن نعتبرهم سادة العالم الذي نعيش فيه، والمرأة يجب أن تكون موضع احترام خاص. حينما لا نكرم النساء يكون لا جدوى من أفعالنا الخيرة، لا يجوز مطلقا أن نضرب امرأة ولو بزهرة «. (ماريون ١٩٢٧، ١١٨)

من هنا نلحظ أن ثمة تشابهـًا بين المسيحية والبراهمية في انتصار كلّ منهما للضعفاء من الناس، كالمرضى

والفقراء، واحتفاؤهم بالمرأة يدل على مستوى رفيع من الحضارة والإنسانية والعدالة، ونلفت الانتباه إلى أنّ فكرة اتحاد البشر بالله كونهم صادرين عنه تجعلهم يعملون بتسيير تام، فلا إرادة لكائن هو جزء من إله، وملحق بإرادته.

البوذية

أسسها سدهارتا جوتاما الملقب ببوذا (٥٦٠ – ٤٨٠ ق.م).

استكملت نظام الزهد والتقشف الذي وضعته البراهمية، لكنها ثارت على نظام الطبقات الذي أقرّه النظام البراهمي، وأقرت نظام الأخوة والمساواة، ومما جاء في تعاليمها:»عيشوا مخفين أعمالكم الطيبة معلنين أخطاءكم، أحبوا الناس والكائنات كلها، ليست الولادة من طبقة معينة هي التي تخلق البراهمي الحق فهذا لا يتعلق بالأم، أنا أسمي براهميا الفقير، والذي هو بريء، يتحمل الإهانات والضرب، ولو بالحديد بصبر وطيبة، والذي لا يضرب حيواناً ضعيفاً، أو قوياً، والذي لا

يقاوم المعتدي عليه، والـذي لا يحسد حاسديه، كلّ أؤلئك هم البراهميون الحقيقيون بهذا الاسم. (ماريون ١٩٢٧، ١١٩)

كما علّم تلاميذه تجنب الـرذائـل لتجد الفضائل طريقها إليهم، وهي عشر: «الشهوات، المقت، العمى، الجهل، الادعاء، التعصب، الشك، الإهمال، الخلاعة، الوقاحة، وبالتالي يتحلّى بما هو عكس ذلك. ومن ينتصر بقوة إرادته على نفسه يصبح كالحكيم بوذا، ويستحق أن يكون مظهراً لحلول الإله فيه». (غلاب، ١٩٣٨، ١٤٥)

الفضائل الست التي دعا إليها: (كمال قوة الإرادة، كمال الإحسـان، كمال الخلق، كمال الصبر، كمال التأمل، كمال الحكمة)، لذا نجد أنّ الإنسان البوذي ليس ذاتيـاً، وإنما هو عضو في تركيب كلي منشغل عن كلّ الشواغل المادية، يريد الوصول إلى عالم الروح،

وقد استغل بوذا قوة الإرادة لديه في نضاله الداخلي ضد نوازع النفس....)، وكان شعاره: «إن النفس القوية هي التي تتحمل أذى الآخـريـن كما تتحمل الأرض

ما يلقى على ظهرها من خبائث.......الخير والحق سيظهر طريقهما بين أخلاط الطرق الملتوية.........إنّ من المحتم أنّ هناك طريقاً للخلاص، من المستحيل أن لا توجد هذه الطرق، وسأعرف كيف أبحث عنها، وسأجد حتماً الوسيلة التي توصل إلى الخلاص من كلّ الوجود». (غلاب ، ١٩٣٨، ١٢٨)

ونلحظ أنّ ما يميّز البوذية أنها انتصرت لإرادة الإنسان القوية، ولكن في مجال محدد هو تحديه لنوازع نفسه، ورغباتها، وشهواتها، لكنها أقصت حق الإنسان في التمتع بنعم الحياة التي أباحتها معظم الديانات والمذاهب الفكرية الإنسانية، وأنشأت أخلاقاً مبنية على جلد الذات والتسامح والتنازل عن كل حقوق النفس الدنيوية.

الأخلاق الجينية (اليوجية): وهي ثورة كالبوذية، أرسى تعاليمها مهاويرا، الذي يرجح أنه عاش في (السادس قبل الميلاد)...وجينيا تعني المنتصر أو قاهر الشهوات، وهي مثل أعلى للزهد والتنسك، وقد اتبعت نظاماً من الرياضات البدنية والروحية القاسية التي تهدف

إلى شفافية الروح وترقيتها، حتى تصبح أهلاً لأن تتحد بالآلهة، ونجدها تقترب من الصوفية في هذا الجانب.

وتذهب الجينية إلى الاقتدار على ثمانية أشياء:

التمكن من تلطيف البدن حتى يختفي عن الأعين، التمكن من تخفيفه حتى يستوي عند وطء الشوك والوحل والتراب، التمكن من تعظيمه حتى يراه في صورة هائلة عجيبة، التمكن من الإرادات، التمكن من علم ما يروم، التمكن من الترؤّس على أية فرقة طلب، خضوع المرؤوسين وطاعتهم، انطواء المسافات بينه وبين المقاصد الشائعة». (غلاب ، ١٩٣٨، ١٦٤)

من هنا نلحظ أنّ الجينية تحلق خارج الواقع الوجودي للإنسان حتى تصل حدّ الأسطرة، كما نلحظ أنّ الفلسفات الهندية متقاربة الى حدّ ما، من حيث الزهد بالدنيا وقهر الجسد والتوحد مع القوى العليا للكون، بترك شهوات الجسد وإغناء الروح والعقل بالعلم والمعرفة.

الزرادشتية: نسبة إلى مؤسسها زردشت» Zoroaster « ويرجح أنه ولد في (٦٦٠ ق.م) (علي، ١٩٧٠، ج ٦) في أذربيجان شمال إيران.

وتعرف بالمجوسية الزرادشتية وهي إحدى أديان المجوسية ولم يبقَ غيرها، وهي ديانة إيرانية قديمة وفلسفة دينية آسيوية، كانت الدين الرسمي للإمبراطوريات الأخمينية والبارثية والساسانية، وتعد واحدة من أقدم الديانات التوحيدية في العالم، إذ ظهرت في بلاد فارس قبل ٣٥٠٠ سنة.

تقوم على مبدأ أنّ العالم هو أثر لفعل إلهين: (إله الخير، وإله الشّر) ويرمز للأول بالنور، والثاني بالظلمة، والصراع بينهما قائم، وأنّ الصراع الحقيقي هو انتصار الخير على الشّر، في داخل النفس أولاً، وبالتالي يُهزم الشرّ في المجتمع.

ومن الملاحظ أنّ الأخلاق الزردشتية أخلاق عملية لم تدعُ إلى طرح الشهوات، وإماتة الجسد، كالبوذية

والبرهمية والجينية، ولم تطالب بالإعراض عن الدنيا والفناء في الحياة، بل اهتمت بالغرائز البشرية، فأباحت تعدد الزوجات من أجل استمرار النوع البشري، وحرّمت الصوم حتى يكثر النسل، وأوجبت استغلال كلّ طاقات الفرد البشري لترقية الحياة وسعادة الأفراد، إن مذهب زراداشت مذهب مشرق منفتح، يربط السعادة بالنشاط والحركة والحرث والنسل، ولا يطيق أبـداً الخمول والسلبية والاستسلام للقدر». (غلاب ، ١٩٣٨، ٤٤١)

فالزردشتية إذن ديانة تحتفي بالإنسان جسداً وروحـاً، وتدعوه إلى استنفار طاقاته باتجاه الارتقاء به، إذن هي فلسفة تخدم إلى حدّ ما، التطور المادي للإنسان، وتعزز دوره وإرادته من خلال قيم مسلكية مادية، ولا تطالب بكبح الشهوات أو إماتة الجسد.

المزدكية:

مؤسسها مزدك بن موبذان (٥٢٨م) الفارسي

اعتبرها البعض ردة وانتكاسة أخلاقية وانقلابـاً اجتماعيـاً خطيراً، لأن «مزدك رأى أنّ الشر البادي في أي

مجتمع إنما مرده أنّ بعض الناس يمتلكون، وأكثرهم لا يمتلكون، ولا سبيل إلى حلّ الصراع الاجتماعي إلا بإلغاء االملكية إلخاصة حتى يصبح المال مشاعـاً بين الجميع، وكذلك اختصاص فرد بامرأة بعينها قد يكون لغيره فيها مأرب، مما يتولد عنه الصراع، فإن علاج ذلك يكون بشيوعية النساء أيضـاً؛ لهذا كله نادت المزدكية بشيوع المال والنساء». (غلاب ، ١٩٣٨، ٢٩٣)

ونلحظ أن هذا بعض ما دعا إليه أفلاطون في مدينته الفاضلة، حين ارتـأى ضـروة أن يكون المال والنساء مشاعـًا، وأضـاف على ذلـك ملكية الـدولـة لـلأولاد، ومسؤوليتها التربوية الكاملة عنهم، ومن هنا جاءت بعض أفكار الشيوعية حـول شيوع المال فقط دون النساء، ورغـم اعتبار الباحثين أن المزدكية انتكاسة أخلاقية، إلا أننا نجدها أعطت دوراً للجهد الإنساني، وحدّت من التطرف الغيبي الذي يطيح بالإنسان جسداً ومادة، ويحاول تجريده من صفاته الفطرية، وجعله كائنـًا روحانيـًا فقط، مما يتنافى مع الطبيعة البشرية، ويقلل من شأن الإنسان وإرادته في الحياة.

الكنفوشيوسية: نسبة إلى كونفوشيوس (٥٥١ ق.م – ٤٧٩ ق.م): احتلت فكرة الواجب كلّ فلسفته الخلقية، فهو في نظره مقدس وعظيم، والواجب يستمد سلطانه من نفسه، وبمقتضى معرفته والإحساس به، تكون أفعالنا صادرة عن وحيه، بحيث لا نفعل إلا ما يقرره، ولا نترك إلا ما يرتضيه، وهذا يخالف تماماً الأخلاق عند المصريين والهنود والفرس، لأن أخلاقهم تخضع للعقيدة الدينية، أما عنده فتخضع لصوت الواجب فقط.

«لم تدع إلى إطراح الدنيا ومحاربة الشهوات والفناء في ذات الإله، ولا يمكن أن يتحول الفرد إلى زاهد أوناسك، بل يجب أن يعمل داخل إطار الجماعة، وحينما يستشعر أن وجوده بينهم لا يتفق مع منحاه الخلقي فعليه حينئذٍ أن يتحمل عبء توجيه السلوك الاجتماعي نحوالطريق الصحيح. « (شبل، ١٩٦٧، ٧٤)

قد تقترب فكرة الواجب الكانطي من الكونفوشية، الذي يستنهض الوازع الداخلي»الضمير« بوصفه معياراً أخلاقياً يدفعه تجاه الخير دون الشرّ، حتى خارج إطار

الجماعة، فهي أخلاق فردية تجعل الفرد يتحمل عبْء المسؤولية الخلقية الجماعية بالتوجيه، وكأنه يأخذ دور الرسول، إلا أنها لا تشير إلى ما أشار إليه كانط حول القواعد السلوكية باعتبارها قبلية في العقل، الأمر الذي يجعلها تتنافى مع الإرادة.

التاوية: (٥٥١-٤٧٩ ق.م)

وهي من أكبر الديانات الصينية القديمة، وجوهرها العودة إلى الطبيعة الفطرية، والوقوف سلباً أمام مظاهر الحضارة والمدنية، والتصوف والتخلص من كلّ ما هو مادي، والخلاص إلى أن الإنسان روح فقط، والغاية هي السير نحو ما رسمته الطبيعة «القانون السماوي»، وجوهر السعادة هو العدل والمساواة والبساطة والاقتراب من الطبيعة.

إذن هي تجرّد الإنسان من إرادته تجاه القانون الخلقي الذي يريد هو أن يصنعه، بما يتناسب وضرورة تطوره، ضمن معطيات الطبيعة، «ويمكن لقصة التاوية أن تروى في حلقتين، ويتناول الجزء الأول من القصة، الفلسفة

التي تمّ تطويرها في العمل الكلاسيكي المعروف باسم «رسالة حول الطريق، وينظر إلى هذه الفلسفة تقليديا على أنها فلسفة « لاوتسو lao tzu ». أما الجزء الثاني فيعنى بتاوية « شوانج تسو chuang tzu « الذي حدد المضامين الإبستمولوجية والصوفية لهذه الفلسفة ». (كولر، ١٩٩٥، ٣٧٤)

ب- فلسفة الأخلاق في الثقافة الإغريقية (٦٠٠ ق):

ظهرت أول ملامح لفلسفة الأخلاق الإغريقية في قصيدتي، الإليـاذة والأوديـسا، للشاعر الإغريقي هو ميروس[1]، وفيهما فضائل الأخلاق كالشجاعة والعفة والوفاء، وكذلك الشاعر اليوناني «هزيود « Hesiod (٨٤٦ ق.م – ٧٧٧ وهـو صاحب ديـوان «الأعمال والأيـام». والحكماء السبعة الذين جمعوا بين الحكمة العملية والسياسة والتشريع والفلسفة ومنهم: سولون وتاليس وبتاكوس وبياس....» واهتموا بفلسفة الوجود

(١) هوميروس: شاعر إغريقي يرجح أنه عاش في ٧٠٠ ق.م، وهو صاحب الملحمتين الشعريتين، «الإلياذة والأوديسا »، وهما اللتان أرّختا لمعركة طروادة.

الخارجي أكثر من السلوك، وكذلك ظهر عمالقة الموروث الفلسفي الإغريقي، ممن أثّروا في الكثير من الفلاسفة، والمذاهب الفلسفية إلى يومنا هذا.

ومن أبرز تلك المذاهب الإغريقية و أولئك الفلاسفة:

مدرسة السفسطائيين (٥٠٠ ق.م):

ظهرت في القرن الخامس ق.م، عندما عمّت الديمقراطية في البلاد، وساد حكم الشعب بعد دحر الفرس، وازداد شعور الفرد بذاته وبدوره في الحياة، وبالتالي سادت النفعية الفردية، وأصبحت الفلسفة حرفة، واعتمدوا الحاسة أساساً للمعرفة، وبما أنّ الحاسة تقع في إطار المتغير المستمر الذي يطرأ على الإنسان حسب ظروفه المعيشية والصحية وغيرها، فقد لزم عن ذلك أنه لا ثبات في الحكم على ما هو حقّ أم باطل أو خير أم شرّ..وإنما يتبلور ذلك بشكل نسبي يتفاوت من شخص لآخر حسب زمانه ومكانه وظرفه العام، ومن أبرز رواد هذه المدرسة، «بروتاغوراس» (٤٩٠- ٤١٩ ق.م) و»غورغياسس» والذي توفي ٣٧٥ ق.م

يصور طه حسين (١٨٨٩-١٩٧٤) مرحلة ظهور السفسطائيين على أنّها مرحلة موسومة بالشّك في كلّ شي، في الفلسفة والدين والسياسة، فيقول: «إنّ العقل اليوناني في ذلك العصر كان قد وصل إلى حالة من الشك لم يعرفها من قبل... وحرص على المنفعة الخاصة التي يمكن أن يؤمن بها الفرد حقاً، لأنّه يحسها ويستمتع بها ويسعى إليها...وفي هذه الحال، نشأت فلسفة السفسطائيين (sophistes) التي كانت في حقيقة الأمر مرآة صادقة للحياة الاجتماعية، والتي كانت تنكر كلّ شيء في نفسه، ولا تعترف إلا بشيء واحد هو المنفعة الفردية». (حسين، ١٩٦٤، ٥٦- ٥٧)

وأبرز رموز السوفسطائية:

بروتوغوراس(٤٨٤ ـ ٤١٠ ق.م):

ويجد أنّ رأي كلّ فرد حقّ عنده، بالنسبة إليه «أي للفرد» فحسب.

جورجياس (٣٧٥ - ٤٨٠ ق.م):

يقوم مذهبه على المكابرة والشّك «ما من قضية إلا ولها قضية معارضة لها»، وقد ألّف كتابًا باسم «اللاوجود».

ويشير القانون الخلقي الذي وضعه بروتاغوراس، إلى أنّ القانون من صنع الضعفاء، وأنّه وضع للقضاء على الأقوياء، وبالتالي فإن الدولة التي يصنعها ضعفاء هي شرّ، أما الطبيعة فهي خير، والسير على الطبيعة هو الأساس، لهذا فإن الطبيعة منافية للقانون، والطبيعة هي التي يجب أن تكون المشرع لنا، أما القانون فيجب ألا نخضع له.

ويرى بروتاغوراس والسفسطائيون أن الأخلاق نسبية ومتغيرة بتغير الزمان والمكان «بل يرى بروتاغوراس، أنّ القيم الأخلاقية لمجتمع معين لا تكون صالحة لمجتمع آخر، لأن تلك القيم تعاقدية بين أفراده، فكل مجتمع يسن قوانينه الخاصة به دون مراعاة لقواعد ثابتة ومحددة» (عواجي، ٢٠١٧، ٢٦).

ويرى أنّ المبادىء الأخلاقية عمومـًا هي اجتماعية «منشؤها الحس العام، ويستبعد أي قوة خارجية مؤثرة في الاتجاه الأخلاقي للأفراد فهم يدعون إلى الفردية الكاملة، ومن هذا المنطلق دافع عن القوانين والتقاليد في مجتمعه» (عواجي، ٢٠١٧، ٢٧).

فيثاغورس (٥٨٢-٤٩٧ ق.م):

لم يكن فيثاغوروس رياضيـًا فحسب، بل كان صاحب نزعة فلسفية تصوفية، وقد رأى الخير في انتصار الروح على الجسد، والفضيلة في الإعراض عن الشهوات، أمّا العفة فهي جهاد بين العقل والغرائز.

وتقوم فلسفته على الاعتدال والشجاعة والإخلاص، وطاعة القانون، ومحاسبة النفس قبل النوم، والزهد والعبادات، وكذلك النزوع إلى التشبه بالله، ومن معاييره الأخلاقية الأساسية العدل، باعتباره أصل الفضائل، ومن أخلاقه أيضـًا وجوب الشيوعية في المال.

«نظرية العدل المربع تدل على أن الجانب الرياضي اشتمل على مجال الأخلاق لديه فالعدل جوهر الفضائل

ويرمزون إليه بالتربيع الذي هو غاية الدقة الرياضية، يؤمنون بتناسخ الأرواح، فالنفس تحل في جسد أقل شأنا، تكفيراً عن خطاياه، كما أباحت شيوعية الأموال. (سيد جيك، ٨٥، ١٩٤٩).

من هنا نستغرب كيف للعقلية الرياضية التي تستند إلى عنصري التنبؤ والقياس أن تسلّم لمثل هذه الأفكار البعيدة عن الحقيقة العلمية والمنطقية كتناسخ الأرواح والتشبه بالآلهة، وأين الإعلاء من شأن الإرادة الإنسانية القوية إزاء ما أنتجه هذا العقل الجبار من نظريات رياضية محكمة كنظرية فيتثاغوروس القائمة حتى الآن؟.

هيراقليطس (٥٣٥- ٤٧٥) ق.م :

من أقدم الفلاسفة وأكثرهم تأثيراً على المذاهب الفكرية الإنسانية القديمة والحديثة، وليس هناك ما يؤكد تاريخ ميلاده ووفاته، ويرجح أنه عاش في زمن يقارب ٥٠٠٠ ق.م، وهو من أسرة مالكة، واعتبر فيلسوف التغيير بلا منازع، وأول من بحث في ميدان الأخلاق، دون أن يضع لنفسه مذهباً أخلاقياً محدداً.

تأسست فلسفته الأخلاقية على ضرورة الاحتكام إلى العقل في الأفعال والسلوك دون اتباع عامة الناس كما نادى بالحرية الأخلاقية، وهو صاحب نظرة تفاؤلية للكون والحياة، وقد توصل إلى أنّ الخير الأسمى ليس إلا الانشراح والسرور، واعتبر أنّ «جميع الآثام والشرور ليست إلا أوصافاً ظاهرية تدرك بمعطيات عقولنا القاصرة». (كرم، ١٩٩٧، ٢١)

- وقد اعتقد هيراقليطس بأربع قواعد أساسية هي: الطاقة، والتغيير، ووحدة الأضداد، وعقل الكلّ، وقد طبقها على الأخلاق، فإذا سيطر العقل على الطاقة وفق نظام محدد سينشأ عن ذلك خير عظيم، وكذلك يجد في التغيير كل الخير، فالإنسان بطبعه يمل العمل بشيء واحد، والتغيير يحقق الراحة، كما أنّ الأضداد في حاجة إلى بعضها بعضا مما يحقق التوازن في الحياة، فالمرض يشعرنا بأهمية الصحة، والجوع يشعرنا بمعنى الشبع، والشّر يجعلنا نفهم قيمة الخير، ويعتبر أن تنازع البقاء ضروري لتمييز الخبيث من الطيب، وضرورة للتطور أيضاً... وفيه تتحقق العدالة، وينفرز البشر بحسب قدراتهم.

وقد كان هيراقليطيس ضدّ المساواة بين الناس، فهو يرى أنّ ربّ رجل صالح خير من آلاف الرجال، وكذلك هو ضد الديمقراطية، ويبرر ذلك بالكثير من الاعتبارات، منها قوله: «إن الفاسدين كثيرون والصالحين قلائل» (ديورَانت ١٩٨٨، ١٨٨٤) ويقول أيضـًا: «عندي أن رجلاً واحداً خير من عشرة آلاف إذا كان هو أحسنهم» (ديورَانت ١٩٨٨، ١٨٨٤).

وقد كان يتوق كما يتوق معظم الفلاسفة للكشف عن الواحد المستتر وراء الكثرة، وعن وحدة تثبت العقول، ونظام يبين ما في العالم من زحام وفوضى وكثرة، وقد قال في هذا المعنى: «إن الأشياء كلها وحدة؛ والمشكلة التي تواجهها الفلسفة هي أن تعرف ما هي هذه الوحدة، وقد أجاب هرقليطس عن هذا السؤال بأنها هي النار... وأكبر الظن أنه كان يقصد به الطاقة.» (ديورَانت ١٩٨٨ ، ١٨٨٤).

وربما كان يجمع بين النار والنفس والله في معنى واحد، يقول: «إن هذا العالم لم يصنعه إله ولا إنسان، ولكنه كان منذ الأزل، وهو كائن وسيكون ناراً حية أزلية،

توقد بقدر، وتنطفئ بقدر» (ديورَانت ١٩٨٨، ١٨٨٤)، وهو أول من وضع مفهوم اللوغس[١]، وهو مصطلح يوناني معناه الكلمة أو العقل أو القانون، وله استعمالات شتّى في المجال الفلسفي والديني، ويعدّ هيرقليطس أوّل من قال به في معنى القانون الكلّي المنظّم للكون

(١) اللوغوس Logos لفظ يوناني يعني الكلمة أو العقل أو القانون، وهو مصطلح شائع الاستعمال في الأدبيات الفلسفية والدينية، فهو عند أفلاطون وأرسطو قانون الوجود وأحد المبادئ المنطقية، وعند الرواقيين قانون العالمين الطبيعي والروحي في إطار وحدة الوجود، وقد كان أول من استخدم مفهوم اللوغوس في الفلسفة اليونانية هيراقليطس، وعدّه فيلون اليهودي أولى القوى الصادرة عن الله أو المولود الأوّل للإله، وجعله محلّ الصور والنموذج الأوّل لكلّ الأشياء وحصر دوره في الوساطة بين الإنسان وربّه، وفهمه القديس يوحنّا على أنّه المسيح فاستخدمه في معنى الكلمة الخالقة والصورة التي يتجلّى عليها الله، وانطلق آباء الكنيسة الأوائل، أمثال كليمنت السكندري وأوريجين..، من هذا الفهم في محاولة للتوفيق بين الفلسفة اليونانيّة والعقيدة المسيحيّة بقولهم إنّ اللوغوس هو مصدر كلتيهما والمنهل الوحيد للحقيقة، وهو المعنى الذي استلهمته الكنيسة عبر مجامعها وذهبت فيه إلى حدّ القول بالتساوي بين الله والابن الذي هو الكلمة أو اللوغوس فحمّلت اللفظ أبعادا دينيّة استثمرها خاصة رجال التصوّف بعد أن تقلّص توظيفه فلسفيا أما هيراقليطس في فلسفته عن التغير والصيرورة، فقد جعل اللوغوس المنظمَ لكل الأشياء والأساس والمبدأ الذي تتم به عملية التغير والسيلان.(انظر: الموسوعة العربية- الفلسفة و علم الاجتماع والعقائد: المجلد السابع عشررقم الصفحة ضمن المجلد : ١٨٢).

والأساس الذي به يقع التحوّل أو التغيير في الأشياء، وبه تشيع الحياة وتنتظم المادة، ويسير عليه الوجود في تغيره من ضد إلى ضد، وهو بالنسبة له النار.

ومما يضايق هرقليطس في النار الخالدة أنها تتبدل تبدلاً لا يقف عند حد، وإن كان يجد فيها ثباتـًا يخفف عنه ما يسببه هذا التبدل من ضيق؛ والمحور الثاني الذي يدور حوله تفكيره هو أبدية «هذا التبدل ووجوده في كلّ شيء، فهو لا يجد قط شيئًا جامداً في الكون أو في العقل أو في النفس؛ فلا شيء كائن بل في تغير مستمر.

إذن هو يؤمن بالتغير الدائم، ويؤمن بحركة الكون فلا شيء ثابت، بل في صيرورة دائمة، ويشار إلى تأثر كلّ من الماركسية والهيغلية بهذا المبدأ، « فقد استغل هيجل الصيرورة عند هيراقليطس استغلالاً تامـًا، وقد تمثل هذا في ثورته على المنطق الاستاتيكي القديم وفي وضعه لمنطق حركي يعتبر الوجود مجالاً للحركة الدائمة وللتغيير المستمر الذي يبنى في حقيقته على الانتقال من الوجود إلى اللاوجود» (النشار، ١٩٦٩، ٣٦٤)

«إنك لن تستطيع أن تخوض في النهر الواحد مرتين» (النشار، ١٩٦٩، ٤٠٩)، بمعنى أنّ مياهه ستكون قد تغيرت لأنها في جريان دائم، وهكذا جريان الحياة بأحداثها وظروفها متغيرة لا تقف عند حدّ.

- وكذلك كان تأثر الماركسية إذ «إن الحركة الدائمة التي تتمثل في الصيرورة التي لا تنقطع مستمدة من صيرورة هيروقليطس، والقانون الأول في المادية الجدلية وهو قانون وحدة الأضداد وصراعها يرجع إلى فكرة الصراع عند هيراقليطيس» (النشار، ١٩٦٩، ٣٦٤).

- «إن موقف كارل ماركس ووفلسفته المادية إنما يعد الصورة المحدثة لفلسفة هيراقليطيس، فقوانين

المادية الجدلية عند ماركس هي تعبير كامل مفصل عن صفات الصيرورة عند هيراقليطيس». (النشار، ١٩٦٩، ٤٠٩).

ديمقريطس (٤٧٠ - ٣٦١ ق.م):

هو صاحب فلسفة «الذرة» التي لا تقرّ في الوجود إلا ما هو مادي، وعلى هذا فلا مطمع للإنسان في الأشياء غير المنظورة، وعليه أن ينظر للأشياء نظرة نفعية، فالخير هو ما يجرّ نفعاً ولذة، والشرّ ما يجر ألماً، إنه يرى أنّ الخير الأسمى يكون في السرور والانشراح، ومرجع ذلك إلى اعتدال العقل والمزاج لذاتهما، فالأخلاقيات عنده تقوم على الأنانية والأثرة والمادية، وإذا كان للعقل دور عنده فهو مقصور على اختيار أفضل اللذات، ومن أقواله: «إن ارتكاب الظلم أسوأ من احتماله» (كرم، ١٩٩٧، ٢٣).

ونلحظ هنا أنّ المدرسة النفعية تقترب في فلسفتها الأخلاقية من فلسفة ديمقريطس، فالفكرة الصائبة هي الفكرة النافعة، والفكرة الخاطئة هي التي لا تجلب المنفعة، وبالتالي سنجد أن المدارس الفلسفية الحديثة قد نهلت من الفلسفات القديمة الشيء الكثير مع اشتغالها على التعديل والتطوير بما يتناسب والحاجة والضرورة الإنسانية للتطور.

سقراط (٤٧٠ ق. م - ٣٩٩ ق.م):

عاش سقراط ما يقارب ٧٠ عامـًا، وهو يمثل نقطة البدء للفلسفة الأخلاقية اليونانية، إذ أنه نفر من دراسة الطبيعة المادية، وانشغل بدراسة مشكلات الإنسان ولا سيما الأخلاقية، ويـرى الدكتور إمـام عبد الفتاح إمـام (١٩٣٤م) أنّ سقراط «اعتمد المنهج الجدلي، وأنه «تلمس المعرفة عن طريق السؤال والجواب، وقد عارض ما أفسده السفسطائيون، فالحقيقة عنده ثابتة، وما يتغير هو الباطل، وسقراط يبحث عن العلم اليقيني والحقيقة الثابتة – مثلا يقول: إذا سألك أحد هل العشرة ضعف الخمسة – هل ستخبره بإجابات تختلف باختلاف الأحوال؟ « (إمام، ١٩٣٤، ص٧٧).

وقد استغرب هذا الرأي باعتبار أن الجدلية تعتمد التحول والتغير، وعدم الثبات باتجاه البحث عن الحقيقة، وإذا التمس سقراط المعرفة عن طريق السؤال والجواب، ونادى بضرورة الثبات في الإجابة، فهذا يتعارض مع مبدأ الديالكتيك[1].

(١) الجدلية أو ديالكتيك في الفلسفة الكلاسيكية، الديالكتيك باليونانية: هو الجدل أوالمحاورة: تبادل الحجج والجدال بين طرفين دفاعًا

بحث سقراط عن التعريفات اليقينية للمفاهيم الأخلاقية الثابتة: التقوى، والشجاعة، والخير، والعدالة، والفضيلة، إذ اعتبر بحق مؤسس علم الأخلاق «Ethics» بمعناه الدقيق، ذلك أنّ فلسفة الأخلاق تسعى إلى الوصول إلى المبادئ الأولى التي تظل ثابتة مهما تغيرت الظروف، وتباينت المجتمعات، أو أنها تسعى إلى المبادىء المطلقة التي يقيم عليها أي مجتمع بشري أخلاقياته، ما يدرس علم الأخلاق حسب المجتمع والزمان والمكان هو علم الاجتماع. (إمام، ١٩٨٥، ٧٨).

ونلحظ هنا تأثر كانط برأي سقراط، عند إطلاقه لمبدأ الأسس الأخلاقية القبلية في العقل، والتي لا تتغير باختلاف الزمان والمكان.

عن وجهة نظر معينة، ويكون ذلك تحت لواء المنطق. ويعتبر الديالكتيك الأساس الذي تبنى عليه الشيوعية بمعنى الجدل الذي يوصل إلى النظريات والقواعد التي تحكم الناس وتسير حياتهم السياسية والاقتصادية والاجتماعية. والمادية الديالكتيكية هي النظرة العالمية للحزب الماركسي اللينيني. وهي تدعى مادية ديالكتيكية لان نهجها للظواهر الطبيعية، أسلوبها في دراسة هذه الظواهر وتفهمها ديالكتيكي بينما تفسيرها للظواهر الطبيعية، وفكرتها عن هذه الظواهر ونظريتها مادية.

كما أنّ سقراط قد عارض السفسطائيين في قضية المعرفة عن طريق الحسّ، وأقام بناء فلسفياً متكاملاً في الميتافيزيقيا، والأخلاق، والمعرفة، كما فصل بين العقل والحسّ، وعمل على تحليل الألفاظ لتحديد معانيها، وإيضاح دلالتها، وبالتالي فوت على السفسطائيين فرصة التلاعب بمعاني الألفاظ.

لذا تبرز أهمية سقراط، في كون الفلسفة تقسم إلى ما قبله، وإلى ما بعده كما فعل كانط.

ويرى سقراط أنّ الإنسان خيّر بطبعه، وأنّ الشرّ طارئ عليه، ويأتي الشرّ من الجهل بحقائق الأشياء الفاضلة، وهنا يوحد بين العلم (المعرفة) والفضيلة، ويختلف «سانتهلير»[١] مع هذا المعنى لدى سقراط فيقول:» ليس ما يقع فيه الإنسان من الإثم ناشئاً عن خطأ في الموازنة بين اللّذة الحاضرة وبين آلام المستقبل التي هي أكبر منها كما يعتقد سقراط، ولا ناشئاً عن جهل بطبائع الأشياء، وإنما منشؤه فساد في الخلق يحمل الإنسان على تفضيل

---

(١) بارتلمي سانتهلير: (١٨٠٥ - ١٨٩٥ م) هو فيلسوف، سياسي، صحفي، ومستشرق فرنسي. له تآليف في أديان الشرق حيث كتب عن دين بوذا الهندي (١٨٥٩ م)، وعن محمّد والقرآن (١٨٦٥ م).

الشرّ على الخير، وهو عالم بهما، وبقيمة كليهما جميعـًا، وحينئذ بهذه المثابة لا تكون الفضيلة والعلم متماثلين، فقد يعلم الإنسان ولا يعمل وقد يعمل ضدّ ما يعلم». (سانتهلير، ٢٠٠٧، ص٤٩).

أفلاطون (٤٢٧- ٣٤٧ ق.م)

هـو تلميذ سـقـراط وأسـتـاذ أرسـطـو، أخـذ تناسخ الأرواح عن الفيثاغورية، وثبات الحقائق عن سقراط، صـدم بـإعـدام سـقـراط، وتـسـاءل: هل الذين أعدموه شرفاء؟، من هنا بدأ بالربط بين علم الأخلاق والسياسة، وتتحدد الخطوط العامة لنظريته الأخلاقية في كلّ من: نقده للأخلاق السفسطائية، وتفسيره للخير الأقصى، وفكرته عن الفضائل والأنفس، ومن ثمّ أخلاق الدولة، ويرى أن «الفضيلة لا تتحقق بعمل فاضل واحد، ولكن لتكون حقيقة ينبغي أن تكون نتيجة لماض عملي طويل». (أرسطو،١٩٢٤، ٥١)

كما ميَّز في دراسته للأخلاق بين قوى النفس الثلاث: (الغضبية وفضيلتها الشجاعة، الشهوانية وفضيلتها

العفة، المدركة (العقل) وفضيلتها الحكمة)، ويرى أنّ في اعتدال القوى الثلاث السابقة تنشأ كلّ فضيلة، فبين الجبن والتهور تنشأ الشجاعة، وبين إماتة الشهوة وإطلاقها تنشأ العفة.

وقد اختلف مع أستاذه سقراط في أنّ الفضيلة هي العلم، فهو يرى أنّ العلم ينتقل من عقل إلى عقل عن طريق الأدلة والبراهين، أما الفضيلة فلا تنتقل، وإنما هي إلهام وبصيرة يشوبها تحسس عاطفي ديني.

كما يربط أفلاطون بين النظرية الأخلاقية والمعرفة بالوجود، فإذا كان الوجود الحقيقي هو الوجود المثالي المفارق للمادة «نظرية المثل»[1]، وهذا الوجود هو

---

(١) نظرية المثل: نظرية أتى بها الفيلسوف أفلاطون، ويعني بها عالم ما قبل العالم الحسي أوالمادي، يكون فيه الإنسان على علم بجميع العلوم والخفايا، وعند ذهابه إلى العالم الحسي (أي حينما يولد في العالم الواقعي) يكون قد نسي كل هذه العلوم، وما عليه إلا أن يتذكرها في العالم الحسي. وفيها قسم افلاطون الكون إلى عالم مثالي كامل من صنع الاله يتضمن حقائق مطلقة لا يمكن لمسها في الواقع (غيبية ميتافيزيقية)، وعالم محسوس طبيعي مادي (فيزيقي) هو عالم الموجودات والذي هو ظل أوصورة منقولة عن عالم المثل، ووقد ارتأى أن العالم الطبيعي الموجود هو عالم مشابه

موضوع المعرفة، وأن إدراكه يكون بنوع من الحدس العقلي، والإلهام البصيري فإنّ الإنسان الفاضل الخير هو الذي يتخذ من المثال هدفا له في سلوكه.

«هناك مثل أخلاقية: (العدالة والخير والجمال)، وليس هناك فحسب مثل للذاتيات الأخلاقية الممتازة مثل: الجمال والعدالة، بل توجد أيضا مثل للقبح والظلم، وقد نفى سقراط أن تكون هناك مثل للأشياء الوضيعة» (ستيس، ٢٠٠٥، ١٣٢)، فالخير المطلق يكون بالجمع بين اللذة والعلم، والسعادة الحقيقية لا تتوافر إلا للفضلاء، والسعادة في الدنيا لا تكون إلا للفضلاء، وفي الآخرة تكون حين يحصل الفاضل جزاء عمله، ويعتبر أنّ الإيمان بخلود الروح والحياة الآخرة من أسس تدعيم الأخلاق وتحقيق السعادة القصوى.

ربط أفلاطون بين الأخلاق والسياسة، واعتبر أنّ الدولة هي الفرد في صورة أكبر، وبالتالي ارتأى أنّ كل تصرفات الأفراد تنعكس على الدولة بخيرها وشرها،

ومماثل لعالم المثل فهو محاكاة(imitation) له وصورة عنه فقط.

فالحاكم والمحكوم سيان إلا بظروف معينة، يستثنى الحاكم بما تقتضيه مصلحة الدولة، واشترط ضرورة أن يكون الحاكم فيلسوفاً، لأنه القادر على قيادة الناس إلى الخير؛ لذا نجده يقول: «لا يمكن زوال تعاسة الدولة ما لم يملك الفلاسفة، أويتفلسف الملوك والحكام فلسفة صحيحة تامة، أي ما لم تتحد القوتان السياسية والفلسفية في شخص واحد». (نصار، ١٩٨٢، ٣٢٦).

وهنا نجد أنّ أفلاطون ورغم مثاليته وإيعازه الخير لعالم المثل فإنه ينتصر للفرد القوي، كما أنه يمجّد الحرب في سبيل الخروج بنخبة من البشر.

- **المدرسة الكلبية:** أسسها «انتستين» (٤٤٤- ٤٦٥ ق.م) تلميذ سقراط،، وقد كان يجتمع بتلاميذه في مكان يسمى الكلب السريع، وقد تميزوا بغرابة الأطوار، أعجب «انتستين» بزهد سقراط في ملذات الدنيا، لكنه لم يكن وفياً لتعاليمه، ففصل الأخلاق عما بعد عن الطبيعة، والفضيلة عن العلم». (كرم، ١٩٩٧، ٢١٢).

تقوم فلسفتهم على احتقاركلّ الخيرات الخارجية، فهي صراع ضدّ اللذات، واحتقار للعيش والعلاقات

الاجتماعية، يظهرون بمظهر رثّ، ويتطفلون على المجالس، ويرضون من مظاهر الحياة بالقليل كالكلاب، يدّعون أنّ الإله «زوس» كلفهم بمراقبة عيوب الناس، والتشهير بهم، وكانوا يشبّهون أنفسهم بالكلاب التي تحرس البيوت والحقول، فالناس جميعـاً أشرار، وهم وحدهم كحراس الفضائل، يتمتعون بالعجب بأنفسهم والكبر.

«كان ظهور الكلبيين ممهداً لظهور الرواقيين، لأنّ الكلبيّين يعتبرون الصلة بين سقراط من جهة، وبين الرواقيين من جهة أخرى، فالرواقيون أخذوا تعاليم الكلبيين ومبادئهم، ورفضوا منها ما يؤلم الذوق العام». (موسى، ١٩٥٣، ص١١٦).

ونجدهم يقتربون من اليهودية في التقوقع على الذات، وافتراض أخلاق عنصرية، والإعجاب بالذات واحتقار الآخر، ونتساءل فيما إذا كان هذا يدفع بالإرادة الإنسانية نحو التطور، من أجل الخروج بإنسان قوي من خلالهم، أم أنها مجرد حركة تسعى إلى التميّز من خلال الشذوذ والعنصرية.

القورينائيون: زعيمهم هو «أرستيب القورينائي» (٤٣٥-٣٦٦ ق.م)، وقد كان تلميذاً لسقراط، تقوم نظرتهم إلى الأخلاق على اعتبار أنّ اللذة هي مقياس الخير والشر، يدّعون أنّ ذلك هو صوت الطبيعة، وما يضعه الناس من قيود للسلوك إنما هو مخالف للطبيعة، أفضل لذة بالنسبة لهم هي الحاضرة، أما انتظار لذة في المستقبل فهو أمر يجلب القلق.

«وقد استوقف هذا المذهب كثيراً من الباحثين قديماً وحديثاً؛ لما فيه من خطورة على الإنسان، وعلى قيمه العليا». (بدوي، ١٩٧٥، ٢٤٢).

من هنا نلحظ أنها فلسفة متناقضة إلى حدٍّ ما، فقد انتقلت من موقع تمجيد اللذّة إلى نفيها كلياً، بحجة أنها تتبع الألم، وأنّ الحكمة في الألم لا في اللّذة ذاتها؛ مما يدفع باتجاه طلب الموت كشفاء ضروري من الألم.

أرسطوطاليس (٣٨٤-٣٢٢ ق.م)

يعتبر أرسطو أنّ الفضيلة ليست انفعالاً، ولا قوة طبيعية، وإنما هي عادة خلقية مكتسبة، أوهي طريقة

لسلوك الإنسان وتصرفه عندما تتناوبه هذه الانفعالات، فالفضيلة إذن ليست موجودة فينا بالطبيعة، وإنما هي عادة مكتسبة للسلوك الحسن، ووجودها يتطلب شرطين: (التعود على ممارستها، والإرادة القوية)، فالأفعال الفاضلة هي التي تكون صادرة من باطن الفاعل، وليس من خارجه، أي بقوة خارجية، والفضائل الأخلاقية لا تسمى فضائل أخلاقية إلا إذا كانت عادات مستمرة، وكما أنّ ظهور خطاف واحد لا يدل على بدء الربيع، فإنه لا يكون الإنسان كريماً لأنه أتى الكرم مرة واحدة، فالإنسان كريم إذا كانت عنده عادة الكرم، وسكير إذا كان مدمناً». (كرسون، ١٩٤٦، ٥٣).

لم يكن لدى أرسطو نزعة زهد أو تصوف، ولم يسرف في اللذات الرخيصة، ولم يحتقر العالم الدنيوي ويمجد العالم الآخر هروباً من هذه الحياة كما فعل أستاذه، بل إنّ الحياة الفاضله لديه لا تكون إلا حيث يكون الإنسان مقيماً في صميم الحياة الواقعية، راسماً لنفسه غاية محددة يتطلع إليها، واضعاً أحسن الوسائل لتحقيقها.

«وجميع الفضائل الأخلاقية لا تعدو أن تكون أوساط الأمـور، ففي كلّ حالة من أحوال الحياة جانب إفراط يجب تحاشيه، وجانب تفريط يجب اتقاؤه، والفضيلة هي التوسط بينهما». (كرسون، ١٩٤٦، ٥٣).

يقول أرسطو: «إن الإفراط بالأكثر خطيئة، والإفراط في الأقل مذموم، والوسط وحده هو الحقيق بالثناء». (أرسطو،١٩٢٤، ٢٤٦).

إن أرسطو قصر السعادة اللازمة عن فعل الخيرات على الحياة الدنيا فقط، إذ لم يصح لديه خلود الروح، أو القول بحياة أخرى، ولعل دراسته للطبيعة في مظهرها المادي هو الذي أوحى إليه بذلك.

ونجد أنّ أرسطو قد زاوج بين متطلبات الجسد والروح كشرط لتحقيق السعادة، فالخير الأسمى مقترن بتحقيق اللذة للجسد، والمال والجاه شرطان لتحقيق لذة خارجية ليست أساسية في الحياة، لكنه اشترط التأمل والتفكير والاقتراب من الآلهة، وركّز كذلك على الإرادة القوية عند الإنسان لتحقيق الفضائل، فالدافع الداخلي

في نظره أكثر قدرة على التأثير في السلوك من المكتسب الخارجي.

وهنا أخلص إلى رأي أدلى به ستيتس الذي اعتبر أن أرسطو من دعاة حرية الإرادة وهو يعترض على سقراط، فعند سقراط من يفكر بسداد يجب بالضرورة أن يسلك بسداد، وإذا لم يستطع أن يختار الشرّ،فإنه لا يستطيع أن يختار الخير؛ لأن الإنسان ذا التفكير السديد لا يفعل السداد بالإرادة بل بالضرورة، ويؤمن أرسطو – بالعكس – أن الإنسان له حرية اختيار الخير والشر، ومذهب سقراط يجعل كلّ الأفعال غير إرادية، ولكن رأي أرسطو أنّ الأفعال التي تؤدى تحت الإرغام غير إرادية. (ستيس، ٢٠٠٥، ٢٠٦).

الأبيقوريون: مؤسسها «أبيقور» (٣٤١ ق.م – ٢٧٠ ق.م):

يقوم مبدؤها الأخلاقي على حساب اللذات، فالفضيلة لا قيمة لها في ذاتها، بل تستمد قيمتها من اللذة.

فالخير المطلق هو اللذة، والشرّ المحض هو الألم، وبالنظر إلى هاتين القضيتين يتحدد معنى السعادة، «فهي

لا تعدو أن تكون الحصول على اللذات والابتعاد عن الآلام، من هنا يتحدد عمل الأخلاقي فهو تعليم بني البشر فنّ الحصول على اللذّة وتحاشي الألم». (كرسون، ١٩٤٦، ٥٦).

الرواقيون: أسسها «زينون الرواقي» (٢٧٠- ٤٣٢ ق.م):

تبنت الرواقية قاعدة «عش وفق الطبيعة»، وقامت فلسفتها على مبدأين: «أولا: أن الكون محكوم بقانون مطلق لا يسمح بأي استثناء، ثانيـاً: أنّ الطبيعة الجوهرية للإنسان هي العقل.» (ستيس، ٢٠٠٥، ٢٢٣)

وهذا يعني أن الناس يجب أن يتطابقوا مع الطبيعة بالمعنى الواسع، أي مع قوانين الكون من جهة، وأن يطابقوا أفعالهم مع الطبيعة بالمعنى الضيق حسب طبيعتهم الجوهرية، أي العقل من جهة أخرى، وبالتالي فإن العقل الكوني هو الذي يدبر حياتنا، وليس الهوى والإرادة الذاتية للفرد، وهكذا نرى أنّ الرواقية تحتكم إلى قوانين الطبيعة بطريقة تنفي عنصر الإرادة الإنسانية نهائيـاً.

الأفلاطونية المحدثة «أفلوطين» (٢٠٥-٢٧٠ م):

نشأت الأفلوطونية المحدثة عن امتزاج فلسفة الشرق بالفلسفة اليونانية، حيث اختلطت النزعة العقلانية لدى اليونانيين بفلسفة الزهد والتصوف لدى الشرقيين، وذلك بعد فتوحات الإسكندر المقدوني، أسسها أمونيوس ساكاس» Ammonius Saccas « (...- ٢٤١ م)، ثم أفلوطين المصري « Plotion» (٢٠٥-٢٧٠م) الذي رأى أن جميع العوالم صدرت عن الله عن طريق الفيض، كما يفيض النور عن الشمس من غير أن ينقص ذلك من الشمس شيئًا، وبما أن النفوس فاضت عن الله فهي تشتاق إليه دائمًا، وتسعى للاتصال به بالتأمل والتفكير والغياب عن العالم المحسوس، وانعكس ذلك على النظرية الأخلاقية التي قامت على التصوف، لا على البحوث العقلية المجردة.

«في تقييم أفلوطين لأصل الشرّ، نلتقي بنظريتين في العدالة الإلهية تختلفان في مبادئهما أشدّ الاختلاف، الشرّ في أولاهما هو المادة والمحسوس انعكاس في انعكاس، ويكون الإفلات من إساره بالرجوع إلى الوجود فوق

المحسوس، (برهييه، ١٩٨٢، ٢٥٧)، بمعنى أن الشرّ يتأتى من الحياة الدنيا ومحتوياتها المادية، والتخلص من هذا الشرّ يكون بالتخلص من التعلق بتلك الماديات، والتطلع نحو العالم الفوقي، أما الثانية فاللوغوس أو العقل مبدأ التناغم يحكم العالم، ولكلّ موجود في العالم مكان ودور يضمنان له التناغم مع الكل، وهو ينفعل أو يستقبل كلّ ما هو لائق ومناسب بهذه الصفة، والعذاب الذي يكابده قد يكون شراً له في حال النظر إليه على حدة وبمعزل عن كلّ ما عداه، لكنه ليس بشر بالنسبة إلى الكون» (برهييه، ١٩٨٢، ٢٥٧)،

بمعنى أنّ كلّ موجود في الكون له دوره ووضعه المتناسب والمتناغم مع باقي الموجودات، وأن الشر الذي قد يصيبه سيكون شراً إذا نظرنا إليه بمعزل عن باقي الموجودات التي يسير بركبها، لكنه ليس شراً بالنسبة إلى الكون بأسره، وبوصفه جزءًا من هذا الكون وكأنّه يريد القول بأنّ قيمتي الشر والخير تحسبان بصورة جمعية لا فردية، فالشر الذي يصيب فرداً قد يكون خيراً في إطار المجموع.

وفي قضية العدالة نجد أنّ أفلوطين يعتبرها إلهية، ومن هنا نلحظ قضيتين غريبتين، «فمن جهة أولى: نظرية في العدالة الإلهية، متشائمة، لا تقبل بدواء للشر غير الهرب خارج العالم، إلى الوجود فوق المحسوس، ومن الجهة الثانية: نظرية في العدالة الإلهية، تقدمية ومتفائلة، تقبل بالدواء الذي قال به الرواقيون: التصديق الإرادي[1]، لكنهما متناقضتان، قبح المحسوس الزائل المتلاشي اللامُتعيِّن، وجمال الكون المنظم المتناغم المضبوط بنواميس أبدية.» (برهييه، ١٩٨٢، ٢٥٧).

(١) التصديق الإرادي: فكرة أنّ التصديق حرّ في العقيدة الرواقيّة في المقام الأوّل، وهناك بالفعل وفرة من النصوص الرواقيّة التي تقول إنّ التصديق يكون إراديًّا أو خاضعًا لسيطرتنا، لكن هناك نصوص تقول أيضًا إنّ بعض الانطباعات على الأقل تفرض الاعتقاد. يقولون إنّ الانطباع الحسّيّ يدفعنا مرغمين للتصديق في صورة أخرى، يستسلم العقل لما هو واضح كما يميل الميزان للثقل يبقى في هذه الحالات إراديًّا لا على ما يبدو كلّ ما يعنيه أنّه إراديّ هو أنّه يعود إلى حكمي، وبالتالي لي، إذا كنت أصدّق أم لا. (مايلز فريدريك بورنت، بحث في أثر الفكرة على نفس صاحبها، موقع المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية).

الفصل الرابع

فلسفة الأخلاق في العصر الحديث

(أنموذجات مختارة)

فلسفة الأخلاق في العصر الحديث

(أنموذجات مختارة)

ديكارت (١٥٩٦ – ١٦٥٠م):

يـرى ديكـارت أنّ العقل هـو الإلـهـام أو الحدس المباشر الذي يدرك به الإنسان الحقّ من الباطل، والذي يتأتى للإنسان عند إيمانه بالقوة العليا المدركة، وفي حين أنّ المبدأ الرواقي يقول: "اتبع الطبيعة"، فإن ديكارت يقول: "اتبع العقل الحق"، وهذا الفرق شكلي، باعتبار أنّ الطبيعة بالنسبة للرواقيين: هي مجموعة القوانين التي تسيِّر الكون وهي الله.

وقد دعا ديكارت إلى ترويض الشهوات وسيطرة العقل عليها بالعلم والمعرفة، متأثراً بسقراط الذي جعل العلم أساس الفضائل، كما أبعد موضوع الأخلاق عن مجال الشك "كونها أثراً من آثار الدين، والدين لديه فوق الشك، "إلا أنه اعتبر الإرادة هي التي تحملنا على فعل الخير، فهو يجعل من الحاسة الخلقية "الضمير" رقيباً على تصرفات الإنسان على أن تهتدي الإرادة بالعقل في التمييز بين الخير والشر". (موسى، ١٩٤٣، ٢٣١).

من هنا نجد أن ديكارت عندما آثر هذا الاتجاه، إنما أراد الرجوع بالعقل إلى طبيعته، وإذا تقرر في نظر كلّ ذي عقل أنّ الدين الصحيح يلتقي مع العقل الفطري الخالص، على اعتبار أنّ تكاليف الدين إنما تؤسس على هذا العقل، من هنا نجد أنّ الإرادة التي اشترطها عادت واقترنت بقيود الدين.

مالبرانش (١٦٣٨ – ١٧١٥م):

هو تلميذ ديكارت، فقد شاركه فكرة تأسيس الأخلاق على العقل الفطري، وزاد عليه في ربط الأخلاق العملية بالدين، وقرر أنّ ما تعانيه الأخلاق العملية من ضعف هو بسبب تقصير علماء اللاهوت.

يقول عن الأخـلاق: "هذا العلم حتى الآن بعيد عن الكمال بعداً كبيراً، ويرجع هذا البعد إلى العلماء اللاهوتيين والوعاظ ورجال الدين". (موسى،١٩٤٣ ص٢٣٧).

يلخص مذهب "مالبرانش" الأخلاقي بأنه مزيج من الفلسفة العقلية والمبادىء الصوفية، كما أنّ له صلة

بعلمي النفس والتربية، وهذا تطور يضاف إلى ما قال به أستاذه "ديكارت"، إضافة إلى أنه كان أكثر تشدداً منه، ففي حين طالب ديكارت بالموازنة بين مطالب العقل والغريزة، طالب مالبرانش بإماتة الشهوات، لأنّ في ذلك خلوصاً إلى عالم العقل والروح والفضيلة.

اسبينوزا (١٦٣٢-١٦٧٧):

تأثر بديكارت في تأسيس الأخـلاق على العقل، وطـوره عنه في كتابه "علم الأخلاق" بنهجه منهجاً رياضياً صارماً، عالج فيه مشاكل الأخلاق _ كما يراها _ بتحديد قضاياها، والمراد في كلّ منها في نظره، ثم تقييم الأدلة على صدق ما ذهب إليه.

"يرى أنّ الاطمئنان النفسي يحدث من سيطرة العقل على قوى النفس حتى يعيش الإنسان في سلام دائم، وهنا يرى أنّ السّعادة الحقيقية إنما تكون في قدرة الإنسان على تحقيق الانسجام بين مطالبه كلها، فهو لا يدعو للزهد وطرح الشهوات، بل يرى أنّ من حق الإنسان التمتع بطيبات الحياة شريطة الاعتدال، وهنا

يربط بين قوة البدن وقوة العقل برباط قوي، وهو يرفض الفضائل العابسة التي تسعى إلى إذلال البدن ومحاربة الشهوات. " (بدوي، ١٩٧٦، ٢٦١).

أقرّ نسبية الأخلاق، حيث قال في كتابه "علم الأخلاق": "فيما يتعلق بالخير والشرّ هذان لفظان لا يدلان على شيء إيجابي في الأشياء ذاتها، وما هما إلا حالان من أحوال الفكر أو تصوران نكونهما من مقارنة الأشياء بعضها ببعض، لأنّ الشيء الواحد يمكن أن يكون في وقت واحد خيراً وشراً على السواء، فالموسيقى مثلاً خير لإنسان حزين، وشرّ لإنسان في حداد، وليست خيراً ولا شراً بالنسبة لإنسان أصم". (بدوي، ١٩٧٦، ٢٦٣).

ونجد أنّ فكرة الاتحاد بالله بالنسبة له تعني خلود النفس، وغاية الغايات، وقمة السعادة، وتحرّر الإنسان من كلّ الروابط المادية، وهذا برأيي يقترب من الصوفية الإسلامية، ويعتبر أنه: "إذا كان الإنسان جزءاً من الطبيعة، وإذا كانت الطبيعة تحكمها قوانين كلية، فإن الإنسان لابد أن تحكمه قوانين أيضًا، وبالتالي تكون

حرية الإرادة وهمـاً، هكذا يظهر اسبينوزا حتميـاً صارمـاً، ويعتبر الحرية لغواً لا معنى له. " (بدوي، ١٩٧٦، ٢٦٤).

كانط (١٧٢٤ – ١٨٠٤)

رفض كانط ربط الأخلاق بنتائج الأفعال من لذات وألـم ومنافع ومضار، وجعل قيمة الأفعال قائمة في باطنها، وليس في الغايات التي تقوم خارجها، وبالتالي كان مذهبه في الواجب لا في الخير الذي يصيب صاحبه أوغيره من الناس.

ذلك أنّ كانط أراد أن يحرر السلوك الأخلاقي من قيود هذه الميول والأهـواء، حتى تكون قيمته باطنية مطلقة، وبهـذا تستبعد اللذة والمنفعة كغاية قصوى لأفعال الإنسان الإرادية، فالباعث على فعل الواجب لا يقوم قطّ في الرغبة في تحقيق غاية، بل الباعث لديه يقوم في الإرادة نفسها، "من بين الأمور الّتي يمكن تصوّرها في هذا العالم، أو خارجه هي أنّه لا يوجد ما يمكن عدّه خيراً على وجه الإطلاق، ودون قيد، اللّهم شيء واحد هو: الإرادة الخيرة. (كانط، ٢٠٠٢، ٣٧).

ويعني في ذلك أنّ الإرادة الخيرة هي الدافع الأساسي وراء كل فعل أخلاقي بوصفها المبدأ الأخلاقي الوحيد وراء ذلك الفعل، أي أنّ أي فعل وأي فضيلة مهما كان مظهرها خيراً كالشجاعة والقوة والطموح..إلخ....لن تعد خيراً إلا بالنسبة إلى المقصد الذي ترجوه إرادتنا من استخدامها.

يقول كانط: " إنّ المعنى العام للخير والشّر يجب ألا يجري تعينه قبل القانون الأخلاقي (الذي يبدو كما لو أنه يجب أن يكون أساساً لذلك المعنى العام)، بل يجب أن يعين فقط بعد القانون الأخلاقي وبواسطته". (كانت، ١٩٦٦، ١١٤)، بمعنى أن القانون الأخلاقي سابق على محددات الخير والشر، ومعناه الدقيق المستمد من السلوك.

ويقول أيضاً: " إنّ كلَّ إنسان لا بدّ له أن يسلِّم بأنّ قانوناً يراد له أن يكون قانوناً أخلاقياً، أعني قاعدة الالتزام لابدّ أن يحمل طابع الضرورة المطلقة، وأنّ الوصية التي تقول: عليك ألا تكذب، لا يمكن أن يكون صلاحها مقصوراً على بني الإنسان وحدهم بحيث يكون

لغيرهم من الكائنات بها شأن، وفضلاً عن هذا فإن قاعدة الالتزام هنا لا ينبغي أن تلتمس في طبيعة الإنسان، ولا في ظروف العالم الذي وضع فيه بل لا بدّ من البحث عنها بطريقة قبلية في تصرفات العقل المجرد (من التجربة) وحدها...نقول: إنّ هذه التعاليم قد نستطيع أنّ نسميها قاعدة للسلوك العملي، ولكننا لن نستطيع بأي حال من الأحوال أنّ نطلق عليها اسم القانون الأخلاقي". (كانت، ١٩٦٥، ٩).

أي أنّ قاعدة مثل "لا تكذب" هي ليست للإنسان وظروفه فحسب، وإنما قاعدة لجميع الكائنات، وإنما هي قاعدة قبلية موجودة في العقل، أي قبل التجربة والممارسة واكتشاف الخطأ والصواب عن طريق تلك التجربة، وهي قاعدة "معرفتنا بالأمر الأخلاقي الذي يصلح في كلّ زمان ومكان؛ لأنه قانون عقلي مطلق، يصدر في أوامره عن العقل، مستقلاً عن كلّ تجربة" (مكاوي، ٢٠٠٣، ١٠).

يؤمن كانط أنّ القانون الأخلاقي موجود قبليًا، أي قبل أي فعالية يقوم بها الإنسان، وبالتالي هو يضعنا أمام ما

يعرف بميتافيزيقيا الأخلاق: "المعرفة القبلية بموضوع ما عن طريق التصورات المحضة، إنها المعرفة القادرة على تجاوز الشكلية المنطقية البحت، والتجريبية البحت، والتي تستطيع بواسطة العقل وحده أن تحدد موضوعها، وتتميز ميتافيزيقيا الأخلاق عن الميتافيزيقيا الطبيعية في أن الأولى تتناول قوانين ما يجب أن يكون، بينما الثانية تتناول قوانين ما هو كائن، وميتافيزيقيا الأخلاق لن تستمد قوانين الأخلاق من الطبيعة الإنسانية، ولا من عادات الناس، وإنما من العقل ذاته مباشرة". (بدوي، ١٩٧٩، ص٣٣).

وكذلك يقول كانط:" من كلّ ما يمكن تصوره في العالم، بل وخارج العالم بعامة، ليس ثم ما يمكن أن يعد خيراً بدون حدود أوقيود، اللهم الإرادة الخيرة"(بدوي، ١٩٧٩، ص٣٩٣)، "ويعني الإرادة الخيرة وحدها التي يمكن أن تعد خيراً في ذاته أوخيراً مطلقاً أو خيراً غير مشروط، أي خيرة في كلّ الظروف ليست خيرة في ظرف وغير خيرة في ظرف آخر، ولا تكون خيرة كوسيلة لغاية، وشريرة كوسيلة لغاية أخرى، فخيرها لا يتوقف على أي

شرط أو ظرف أورغبة، أوغاية، إذن هي خير مطلق، غير مشروط أبداً، خير في ذاتها لا بالنسبة إلى أشياء أخرى". (بدوي، ١٩٧٩، ص ٤١).

شوبنهور: (١٧٨٨- ١٨٦٠ م)

آرثر شوبنهاور: فيلسوف ألماني معروف بفلسفته التشاؤمية، وهو يرى في الحياة شراً مطلقـاً، هو يبجل العدم، ويرى في الانتحار شيئًا جيداً، وقد كتب كتاب" العالم فكرة وإرادة" الذي وضع فيه زبدة فلسفته، لذلك تراه يربط بين الإرادة والعقل، فيرى أنّ العقل أداة بيد الإرادة وتابع لها، كما يقرن الإرادة بالبدن، كما في تعبير (د.بدوي) الذي يجمع بين الإرادة والبدن في قالب واحد، إذ يرى أنّ البدن هو الإرادة، ولكن نحن نرى الإرادة بوصفها باطن الجسد، ونـرى الجسد بوصفه التمثل الخارجي للإرادة: ولهذا فإن كلّ حركة للبدن هي حركة للإرادة والعكس بالعكس، فإن الإرادة والبدن سيّان أو شيء واحد له مظهران: مظهر مباشر هو الإرادة، ومظهر غير مباشر هو البدن، وفعل الإرادة هو بعينه فعل الجسم أي أنّ الإرادة والفعل واحد، وإنما النظر العقلي هو الذي

يفصل بينهما، لأنّ فعل البدن ليس إلا فعل الإرادة بعد أن تحقق موضوعياً أي أصبح منظوراً." (بدوي، ١٩٦٥، ١٨٦).

وبالتالي فإن: " الإرادة هي جوهر وجود الإنسان، ففيها يجد الإنسان بالتأمل الباطن المباشر، الجوهر الباطن الحقيقي للإنسان، والذي لا يمكن أن يفنى، وهي البذرة الحقيقية الوجودية في الإنسان، هي في كلمة واحدة، الشيء في ذاته. (بدوي، ١٩٦٥، ١٨٦).

هذه الإرادة هي إرادة الحياة التي تأثر بها نيتشه بداية، ثم اشتق منها إرادة القوّة التي أقام عليها فلسفته الأخلاقية برمتها، فكانت محور أعماله الفكرية والأدبية...وينتقد شبنهور بقوله:

"ما عثر على الحقيقة من قال بإرادة الحياة، لأنّ مثل هذه الإرادة لا وجود لها وليس للعدم إرادة، كما أنّ المتمتع بالحياة لا يمكنه أن يطلب الحياة، ولا إرادة إلا حيث تتجلى حياة، ومع هذا فإن ما أدعو إليه إن هو إلا إرادة القوة لا إرادة الحياة". (نيتشه، ١٩٣٨، ١٤٤).

ويعتقد شوبنهور أنّ الأخلاق فطرية، وأنّ أنماط السلوك الإنساني تنطلق من عدة أنماط، الأنانية والإحسان، والنقصان والعدالة والزهد، وأنّ تمثل أحد هذه الأنماط يعود إلى أسباب نفسية خاصة، فربما يختار الإحسان رغبة في تمثل الفضيلة لأجل إرضاء الناس، وقد يختار العدل خوفاً من العقاب والقانون، وكأنه يريد أن يقول بأن المعايير الأخلاقية لا يعكسها بالضرورة السلوك الظاهر للإنسان.

ويعتبر أنّ المصدر الرئيسي لكلّ الأخلاق يكون في مشاركة الإنسان لمعاناة غيره بعيدًا عن الدوافع الأنانية، ويجد أنّ السلوك الأخلاقي الصحيح، لا يكون منطلقاً من وجهة نظر معينة، بل يعني التصرف دون وجهة نظر إطلاقًا، "فالذات الخيرة حقًّا هي ذاتٌ ميتة، أو على الأقل تعيش في حالة معلَّقة دائمًا". (إيجلتون، ٢٠١٩، ١٨٧).

فريدريك نيتشه (Friedrich Nietzsche) (١٨٤٤-١٩٠٠م)

فيلسوف ألماني، بدأ حياته قسيساً صغيراً، كان يتمتع بقوّة روحيّة عظيمة، وإرادة تدفعه نحو السموّ والرفعة

على الدوام، وما أن بلغ الثامنة عشرة حتى فقد الإيمان في إله آبائه القساوسة، درس اللغات والآداب الكلاسيكية، ونال درجة الدكتوراه في الفلسفة، وكان أكاديميًا، وموسيقيًا وفيلسوفًا وأديبًا.

غرق نيتشه بالإرث الأخلاقي الإنساني الهائل على مدّ التاريخ حدّ التشبع، مما دفع به للثورة على تلك القيم ونقدها، متخذاً من إرادة القوة معياراً لهذا النقد، إذ حرك هذا الإرث الهائل لديه الرغبة القوية في الخروج من كلّ قيمة وجد فيها سلبًا لقوة الإنسان وإرادته، فأقام ثورة قلب فيها القيم، بقصد النهوض بالإنسان، كأقوى كائن على هذه الأرض، ضمن أطروحة فلسفية قائمة على مبدأ الصيرورة، حيث لا جمود ولا ثبات ولا مقدس.

كما قامت ثورته على مبدأ النقد لا من أجل النقد بحدّ ذاته، وإنما من أجل الخروج بالبشرية نحو الأفضل ونحو الإرساء لبذور الإنسان الأعلى الذي طمح إليه نيتشه، يقول: "إننا بحاجة لنقد القيم الأخلاقية، وأنّ قيمة هذه القيم ينبغي أنّ تطرح قبل كلّ شيء على بساط البحث". (نيتشه، ١٩٨١، ١٤).

والإنسان الأعلى أو المتفوق، "الأوبرمنش": هو بالنسبة لنيتشه المخرج من العدمية الذي يردّ الاعتبار لقيمة الحياة، ويقود دفتها ويسيطر عليها، وهو الكائن غير المتحقق بعد، والذي بشّر نيتشه بقدومه بفعل إرادة القوة: "إنني آتٍ إليكم بنبأ الإنسان المتفوق، فما الإنسان العادي إلا كائن يجب أن نفوقه، فما أعددتم للتفوق عليه؟" (نيتشه، ١٩٩٦، ص٣٣).

إذن يصبح الأبرمنش هو المحرك الفعلي للحياة، ويرمز إليه نيتشه "بزارادشت" (Zarathustra)، بطل كتابه الشهير"هكذا تكلم زرادشت"، فالأبرمنش بوصفه الهدف المشروع للإنسان هو المسؤول عن تشكل تلك القيم وإرسائها، وحتى تجاوزها وتبديلها متى شاء، وبما تملي عليه صيرورة الحياة"، الحقيقة هي أننا نحن أنفسنا في نمو، نخلع عنّا قشوراً بالية في تغيير دائم، نكسب جلداً جديداً كل ربيع" (نيتشه، ١٩٩٣، ص٢٣٩).

يؤكد نيتشه أنّ قيم الخير والشّر هي من صنع البشر، ولم تكن فوقية خارجية، فالإنسان يخلق القوانين ويسنّ الشرائع ويفرضها على نفسه، "لقد أقام الناس الخير

والشّر لأنفسهم وما اكتشفوهما، ولا أنزل عليهم بهاتف من السماء" (نيتشه، ١٩٩٦، ص٨٥).

ويرى نيتشه أنّ فكرة الخير والشّر مرتبطة بطبقة العبيد التي لا يخفي مقته إياها وأنّ العبيد استطاعوا فرض هذا على السادة، لكن السادة في جوهرهم يميلون صوب فكرة الجيد والسيء عوضاً عن الخير والشّر، وكذلك فإن الخير والشرّ كباقي القيم نسبية ومتغيّرة لأنها أصلاً من صنع الإنسان.

"ليس على الأرض من شعب تحلو له الحياة دون أنّ يخضع النظم والسنن لتقديره، وإنّ كلّ شعب يرى من واجبه إذا أراد الحياة أن يجيء بتقدير يختلف عن تقدير من يجاوره من الشعوب، وهكذا كان ما يرى أحدهما خيراً، يراه الآخر دناءة وعاراً... فكم من عمل اتّشح بالعيب في بلد رأيته مجللاً بالشرف والفخر في بلد آخر" (نيتشه، ١٩٩٦، ص٨٣).

وكذلك يؤكد عدم ثبات الخير والشرّ وضرورة التغيير الدائم، إذ يرى "أنه ليس هنالك من خيرٍ دائم وشرٍّ دائم،

لأن على الخير والشرّ كليهما أن يندفعا أبداً إلى التفوق والاعتلاء، فمن أراد أن يكون مبدعـاً سواء أكان في الخير أم الشّر، فعليه أن يبدأ بهدم ما سبق تقديره، وبتحطيمه، وهكذا فإن أعظم الشرّ يبدو جزءاً من أعظم الخير، ولكن هذا الخير لم يعط إدراكه إلا للمبدعين". (نيتشه، ١٩٩٦، ص١٤٤).

نجد أنّ ما سعى إليه نيتشه هو تخليص الإنسان لا سيما الأوروبي من الميتافيزيقية الغيبية، وربطها بهدف الوصول إلى الإنسان الأعلى، يقول: "حيثما تبصرون مثلاً أعلى لا أرى سوى أشياء إنسانية مفرطة في إنسانيتها" (فنك، ١٩٧٤، ص٥١)، بمعنى أن الإنسان الأعلى ينبثق عن الإنسان ذاته وليس خارجاً عنه.

فهو طريقة جديدة في الحياة تنبذ أوهـام الضعف التاريخية منذ أفلاطون مروراً بالمسيحية وحتى ليبرالية القرن التاسع عشر التي أفرزت القيم الأخلاقية والخير والشّر. (الجمزاوي، ٢٠١٦).

يقول: ألم يبلغ بنا الأمـر اليوم ضـرورة العزم مرة أخرى على ضرورة قلب القيم، وتحويل أساسها، بفضل استفاقة جديدة للذات، وتعميق جديد للإنسان" (نيتشه، ١٩٩٩ : ٦٣)، لكنه لا يترك الأمر مبهمـاً بل يرسي أسس التحول المطلوب جاعلاً من إرادة القوة معياراً أساسيـاً لنقد تلك القيم، واستبدالها بقيم جديدة، يقول: "أنتم أيها الواضعون للقيم أقدارها بمقاييسكم وموازينكم بما تقولونه عن الخير والشر، هل كان لكم أن تفعلوا هذا لو لم تكن لكم إرادة القوة". (نيتشه، ٢٠٠٥: ٢٥).

لعل أفضل ما جاء به نيتشه هو دعوته لتجاوز ذاته وفلسفته، فنيتشه الذي حطّم الأصنام لا يريد أن يتحول هو الآخر لصنم جديد، ففلسفته وحياته وحدة واحدة، فكما أثرت حياته في فلسفته كذلك جعل نيتشه من فكره حياته التي يحياها بكل تفاصيلها، فقد صنع نيتشه فلسفة دنيوية بشرية تعلي من شأن الحقيقة المادية والجسدية للإنسان، وتجعل منه إله نفسه، وصانعـاً لقيمه المتغيرة التي تهدف إلى تجاوز العدمية، وديمومة التطور للأعلى.

الفصل الخامس

الأخلاق في الفكر المعاصر:

(الماركسية، البرجماتية، الوجودية)

الأخلاق في الفكر المعاصر
(الماركسية، البرجماتية، الوجودية)

الماركسية:

لم تدعُ الماركسية إلى نظام أخلاقي خاص بطريقة وعظية مباشرة، وإنما أخضعتها للمتغير التاريخي الذي يطرأ على المجتمعات على كافة الأصعدة الحياتية، سواء كانت سياسية أم اقتصادية أم اجتماعية، وفي هذا الإطار يقول كارل ماركس (١٨١٨-١٨٨٣م): «إن الشيوعين لا يبشرون بأية أخلاقيات على الإطلاق، لا يضعون للناس الأمر الخلقي: أحبوا بعضكم بعضاً، لا تكونوا أنانيين....إلخ، إنهم يعرفون تماماً أن الأنانية مثل التضحية، هي في ظل ظروف معينة الشكل الضروري لصراع الفرد من أجل البقاء». (كامنكا، ١٩٧١: ١٦٧)، بمعنى أن الظروف العامة هي التي تصنع الأخلاق، والصراع القائم هو الذي يفرز أخلاقاً معينة مستقاة من الواقع بكلّ تفاصيله لا سيما الطبقية، إذ يعزو البيان الشيوعي النتاج الفكري برمته إلى الطبقة السائدة في زمان ومكان معينين، مع ضرورة تغير تلك الأفكار مع

تغير وزوال الطبقة، إذ يقول ماركس: «وهل يبرهن تاريخ الأفكار على أنّ الإنتاج الفكري يتبدل ويتحور مع تبدل الإنتاج المادي وتحوره؟، فالأفكار السائدة في عهد من العهود لم تكن سوى أفكار الطبقة السائدة وآرائها». (ماركس وإنجلز، ١٩٨٧: ٣٧).

وكذلك يبرز دور الطبقة العاملة في إرساء المعاني الأخلاقية، فكما يرى أوجين كمانكا أنّ: «الوسيلة الوحيدة إلى قيام حياة لا صراع فيها هي: إسقاط الأمور الذاتية وإحلال الشيوعية محلها، هنالك تصح المعاني الأخلاقية الخالصة، لأنها ستكون صدى لأحوال اقتصادية متماثلة في كلّ المجتمعات البشرية». (كامنكا،١٩٧١: ١٦٨)، ويعني أن شيوع المال وتوزيع الفرص يقصي الطمع والأنانية الفردية مما يحقق عدالة اقتصادية واجتماعية تنعكس على أخلاق الفرد والمجتمع، ويخفف من حدة الصراع باختفاء الهوة الطبقية بين شرائح المجتمع.

ويؤكد ماركس على: «أن الثورة الشيوعية تقطع من الأساس كلّ رابطة مع علاقات الملكية التقليدية، فلا عجب إذن إن هي قطعت بحزم أيضـاً أثناء تطورها كل

رابطة مع الأفكار والآراء التقليدية..إن الخطوة الأولى في ثورة العمال هي تحول البروليتاريا[1] إلى طبقة سائدة والظفر بالديمقراطية»[2].

إذن فالماركسية أحدثت قلبا للقيم في قضايا عدّة أبرزها الغاء الطبقات والارتقاء بالطبقة العاملة من «البروليتاريا»، وقد ارتأت في ذلك ما يسهم في تحقيق العدل والمساواة، ومن ثمّ التخفيف من حدّة الصراع على الثروة، والذي يولد صراعات اجتماعية وسياسية وإنسانية.

البرجماتية:

مذهب فلسفي اجتماعي، يقول إن الحقيقة توجد في جملة التجربة الإنسانية، لا في الفكر النظري البعيد

(١) البروليتاريا (باللاتينية: Proletarius) هو مصطلح ظهر في القرن التاسع عشر ضمن كتاب بيان الحزب الشيوعي لكارل ماركس وفريدريك أنجلز يشير فيه إلى الطبقة التي ستتولد بعد تحول اقتصاد العالم من اقتصاد تنافسي إلى اقتصاد احتكاري، ويقصد كارل ماركس بالبروليتاريا الطبقة التي لا تملك أي وسائل إنتاج وتعيش من بيع مجهودها العضلي أو الفكري.

(٢) البيان الشيوعي، ص٤٠.

عن الواقع، وأن المعرفة آلة، أو وظيفة في خدمة مطالب الحياة، وأنّ صدق قضية ما هو في كونها مفيدة للناس، وأن الفكر في طبيعته غائيّ (أي له غاية).

نشأت الذرائعية (البرجماتية) كمذهب عملي في الولايات المتحدة الأمريكية، وقد وجدت في النظام الرأسمالي الحرّ الذي يقوم على المنافسة الفردية خير تربة للنمو والازدهار.

ومن أبرز روادها:

- **تشارلس بيرس: ١٨٣٩ - ١٩١٤م:**

ويعد مبتكراً لكلمة البرجماتية، في الفلسفة المعاصرة.

ويعتبر أنّ القيمة الحقيقية لأيّ موضوع أوفكرة تكمن في إمكانية تحققها عملياً على أرض الواقع، فهو يرى أنّ معيار الخير في العمل لا في الفكر والقول، يقول في محاضرة له بعنوان «كيف نوضح أفكارنا: «إن تصورنا لموضوع ما هو تصورنا لما قد ينتج عن هذا الموضوع من آثار عملية، ومعيار الحق في القول والخير في الفعل

هو العمل المنتج، لا الحكم العقلي». (كرم، ١٩٦٣: ٣٩٦).

• **وليم جيمس (١٨٤٢م-١٩١٠ م):**

أما وليم جيمس فيعطي للإنسان دوراً رياديًا في النهوض بالحياة وتطويرها، و»الأخـلاق عنده، هي أخلاق البطولة والكفاح، والـدور المنوط بالإنسان في هذه الحياة لا يمكن أن يكون دور مشاهد سلبي في عالم لا يملك إزاءه أن يفعل شيئًا، وإنما دوره الأول أن يثبت وجوده ويعزز كيانه في عالم معقد متشابك تتصارع فيه قوى متعددة متباينة». (الشنيصي، ١٩٥٧: ١٨٢).

فجيمس، يحتفي بـإرادة الإنسان ويـرى أنّ القول بالجبرية، «يؤدي إلى نتيجة واحدة هي شلّ إرادة الإنسان وتثبيط همته. (الشنيصي، ١٩٥٧: ٥٦).

• **جون ديوي (١٨٥٩م- ١٩٥٢م):**

ينظر جـون ديـوي إلـى الأخـلاق بطريقة مختلفة تنطلق من كونه عالـم نفس وتربويـًا، فهو يجد «أنها تنبع من صميم الحياة التي نعيشها على الأرض، وليست

أخلاقاً متعالية تفرض على الإنسان فرضاً، وهي أخلاق اجتماعية لا تحصر السيرة الفاضلة في داخل الفرد بينه وبين نفسه، ولا تنبع من الذات، أو النفس، أوالضمير، أو العقل، وهي أخلاق يمكن بحثها عملياً، كما تبحث سائر العلوم الطبيعية، ويمكن ضبطها وتوجيهها كما تضبط سائر العلوم». (الأهواني، ١٩٨٧: ١٢٥).

إذن، فديوي يعطي الأخلاق قيمة علمية اجتماعية، ولا يجعلها فردية بالرغم من سطوة الواقع الاقتصادي والمالي الذي ساد في عصره، بل انطلق من كونه عالم نفس وتربوياً ليجعل من الأخلاق تربية اجتماعية تنعكس على الفرد من خلال بيئته، وأنّ تحسين الأخلاق لا يكون إلا بتعديل النظم الاجتماعية التي تحسن تربية الفرد، يقول ديوي:»إذا كانت تربية الفرد منحطة، فذلك ناشيء من نقص التربية التي يتلقاها الفرد في تفاعله مع بيئته الاجتماعية». (الأهواني، ١٩٨٧: ١٢٦).

الوجودية:

تنطلق الوجودية من رؤية أساسية تتلخص في النظرة إلى الوجود الإنساني باعتباره سابقاً على ماهيته،

وإذ ينقسم الوجوديون إلى متدينين وملاحدة، فإن: «الوجوديين جميعـًا، سواء المسيحيين أوالملحدين، يبدأون جميعـًا من بداية واحدة: أن الوجود سابق على الماهية، أو أنّ الذاتية تبدأ أولاً» (الحفني، ١٩٩٢: ١٩)، أي أنّ الإنسان يوجد أولاً، ثم تتحدد ماهيته، أي ما يريد أن يكون، بالصفات التي يصنعها بنفسه، فالإنسان يمتلك حرية الاختيار في صنع ماهيته، ليس ذلك فحسب، بل إنّ حريته ملازمة لوجوده، ومن أبرز رموز الوجودية:

جان بول سارتر (١٩٠٥م- ١٩٨٠م)[١]:

إذ أشار سارتر الذي أكّد أسبقية الوجود على الماهية، وفسّرها بقوله: «ومـاذا تعني هنا أسبقية الوجود على

(١) جان بول شارل ايمارد سارتر (بالفرنسية: Jean-Paul Sartre) (٢١ يونيو ١٩٠٥ باريس – ١٥ أبريل ١٩٨٠ باريس) هو فيلسوف وروائي وكاتب مسرحي كاتب سيناريو وناقد أدبي وناشط سياسي فرنسي. بدأ حياته العملية أستاذاً. درس الفلسفة في ألمانيا خلال الحرب العالمية الثانية. حين احتلت ألمانيا النازية فرنسا، انخرط سارتر في صفوف المقاومة الفرنسية السرية. عرف سارتر واشتهر لكونه كاتب غزير الإنتاج، ولأعماله الأدبية وفلسفته المسماة بالوجودية، ويأتي في المقام الثاني التحاقه السياسي باليسار المتطرف. بالرغم من أنه حاز جائزة نوبل في الأدب عام ١٩٦٤ إلا أنه رفضها، حيث قال بهذا الشأن أن الكاتب يجب ألا يصبح مؤسسة.

الماهية؟، المقصود بذلك أنّ الإنسان يوجد قبل كلّ شيء، وأنه يلقي ذاته، ويبرز إلى العالم، ثم يعرف بعد معنى ذلك». (سارتر، ١٩٥٩: ١٦).

كما يجعل سارتر من الحرية والاختيار أساسًا، في الحكم على الموضوع الأخلاقي، فهو ينكر وجود أخلاق عامة مسبقة يمكنها أن تملى على الإنسان، يقول: « أنت حرّ لتختار، ولتبتكر، فلا أخلاق عامة تستطيع أن تدلك على الواجب، لأنه لا وجود في هذا العالم لإشارات قابلة للتأويل». (سارتر، ١٩٥٩: ٣١).

كما يربط سارتر بين الفن والأخلاق انطلاقًا من وجهة نظر وجودية لكليهما، ففي حين لا يقبل بأية اشتراطات قبلية للفن فإنه يقيس ذلك على الأخلاق أيضًا، فاللّوحة الحقيقية هي التي يصنعها الفنان بالفعل، فمن «البديهي أنّ لا وجود لقيم قبلية، أي من قبل أن تتحقق على يد الفنان؛ لأنّه لا يحكم على فنّ إلا بعد تكونه» (سارتر، ١٩٥٩: ٤٨)، ومن ثم يقرن سارتر الفن بالأخلاق «فالقدر المشترك بين الفن والأخلاق، هو كوننا في كلتا

الحالتين أمام إبداع وابتكار، حتى ليخرج عن حدّ الطاقة التعيين قبليّـًا لما يجب فعله». (سارتر، ١٩٥٩: ٤٩).

فالمذهب الأخلاقي في نظره لا يمكن أن يسبق وجود الإنسان، «فالإنسان إذ يختار التزامه ومشروعه بشكل صادق واضح لا يستطيع أن يفضل مشروعـًا آخر على مشروعه الأصلي بغض النظر عن طبيعة هذا الأخير» (سارتر، ١٩٥٩: ٥٠)، كما أن الاختيار لا يكون بمعزل عن الآخرين فالإنسان «يختار إزاء الآخرين كما يختار ذاته حيالهم» (سارتر، ١٩٥٩: ٥١)، فكيف نستطيع هنا أن نحكم في الأمر؟، أي فيما إذا كان الإنسان قد أصاب أم أخطأ، أو أنه اختار ذاته بسوء نية، يجيب سارتر: «ليس عليّ أن أحكم فيه أخلاقيـًا، بل أكتفي بتحديد نيته السيئة على أنّها خطأ... إنّ تصريحي بوجود قيم سابقة لي هو سوء نية، فضلاً عن أنّ هنالك تناقضـًا بين إرادتي لهذه القيم من جهة، والقول بأنها سابقة لي من جهة أخرى». (سارتر، ١٩٥٩: ٥١-٥٢).

يتساءل الدكتور عبد الرحمن بـدوي عن إمكانية قيام مذهب أخلاقي وجـودي عبر كتاب متخصص له

بعنوان: «هل يمكن قيام أخلاق وجودية؟، ويخلص فيه إلى أنه «من غير الممكن قيام أخلاق وجودية، وأنّ محاولات الفلاسفة الوجوديين في هذا الباب تؤذن بتوكيد هذا الرأي». (بدوي، ١٩٥٣: ٢٤٣)، لكنه يقسم آراءهم إلى نوعين: بعضهم يصف المذهب الوجودي، باللاأخلاقية، مثل: «كيركيجورد»(١٨١٣م – ١٨٥٥م)، و»يسبرز» (١٨٨٣-١٩٦٩م)، وبعضهم يرى أنّ الوجودية حتى الآن بمعزل عن الأخلاق، مثل «هيدجر». والفرق أنّ اللّاأخلاقية كما يفسرها بدوي لا تعني عدم القول بالأخلاق، وإنما تعني عدم القول بأخلاق معينة كالسقراطية، والمسيحية، فهما أي القائلان باللاأخلاقية «يطالبان بالارتفاع فوقها إلى مرتبة أعلى هي مدرج الدين عند كيركجورد، وهي مدرج الإنابة إلى الينبوع عند يسبرز « (بدوي، ١٩٥٣: ٢٤٣)، وإذ يؤكد بدوي عدم إمكانية قيام أخلاق وجودية، فإنه يقسم الوجود إلى نوعين: « وجود الذات ووجود الموضوع، ولكن الوجود الأصيل، بالنسبة إلى الإنسان على الأقل هو وجود الذات، حتى أننا ننتهي في آخر الأمر إلى قصر كلمة الوجود على الذات.» (بدوي، ١٩٥٣: ٢٤٣).

ويخلص بدوي إلى « أنّ الأخلاق – بالمعنى التقليدي – لا وجود لها إلا بالنسبة إلى وجود الموضوع» (بدوي، ١٩٥٣ : ٢٤٤)، وبما أن بدوي أكّد أن الوجود الحقيقي للإنسان هو الوجود الذاتي، وليس الموضوعي فإن هذا يمنع إمكانية تحقق مذهب أخلاقي من وجهة النظر الوجودية، وإذ يعتبر بدوي أنّ الحرية هي الصفة الأولى لوجود الذات فإنه يجد في القانون بديلاً عن الأخلاق كوسيلة للحدّ من حرية الذات، يقول: «القانون هو الصيغة التي يتواضع الناس عليها لتحد كلّ ذات من ذاتها». (بدوي، ١٩٥٣: ٢٤٤).

خلاصة

١-خلصت الدراسة إلى أبرز التعريفات العامة لمفهوم الأخلاق على الصعد اللغوية والاصطلاحية والعلمية والفلسفية، كما عرضت موجزاً للتراث الإنساني لفلسفة الأخلاق، لدى أبرز الديانات، والحضارات، والمذاهب الفكرية، ورموزها منذ ما يقارب الستة آلاف قبل الميلاد وحتى العصر الحديث، بموجز مفيد، ولغة مبسطة قدر الإمكان، تصل إلى المتلقي (الشاب أو غير المتخصص) بسهولة ويسر، وتثري معجمه بالمفردات الجديدة التي تم توضيحها في الهوامش.

وقد برز معنى الأخلاق، وتفاوتاته المتسقة مع تفاوتات البشر واختلافاتهم الفطرية منذ الأزل حتى يومنا هذا، مما أجد فيه ما يصوب بعض الأفكار المغلوطة تجاه تلك المفاهيم بمختلف مذاهبها، ويفعّل التفكير العقلي الناقد، ومما يعزز قبول الآخر، والتعامل مع قيمتي الخير

والشرّ بنظرة موضوعية، مبنية على حرية الفكر والإرادة والمعرفة العلمية الموثقة.

ونستطيع تلخيص أبرز الأفكار الواردة في الدراسة السابقة حول مفهوم الأخلاق وتاريخها عند أبرز الشعوب والديانات والمذاهب الفكرية بما يلي:

١) مفهوم الأخلاق: رصدت الدراسة مفهوم الأخلاق خلال منطلقات ثلاثة: (اللغوي، والاصطلاحي، والفلسفي)

- الأخلاق لغة: جمع خلق: «الطبع والسجيّة والعادة، أو الدين»، وهو صورة الإنسان الباطنة وهي نفسه، وأوصافها ومعانيها المختصة بها.

- اصطلاحاً: أنّ الخلق سلوك يصدر عن النفس البشرية «بفعل التعود»، وقد تحول إلى طبع وسجية في تلك النفس، متخذاً صفة الديمومة، لا الحالة المؤقتة، إذن هو طبع، وكسب في آن واحد، أو أنه طبع يتحقق بفعل الكسب، أو مجموعة معينة من قواعد السلوك التي

يربى عليها النشء في المنزل أو المدارس ومؤسسات المجتمع برمتها.

- فلسفة الأخلاق: وتتضمن:

- علم الأخلاق: وهو من فروع الفلسفة، يسعى إلى وصف الفضائل الأخلاقية في مجتمع معين، ودراسة هذه الفضائل أو الرذائل دراسة عقلية خالصة.

- فلسفة الأخلاق: تقوم بالبحث والتقصي وراء الأسباب العقلية، والمعرفية التي دفعت باتجاه تكوّن قواعد السلوك، لدى شعب أومذهب معين، وكذلك الأسس، والمسوّغات، التي كونت تلك القواعد الخلقية لديهم.

٢) الأخلاق عند اليهود:

- تتميز فلسفة الأخلاق عند اليهود عن غيرها بالعنصرية، فهم يقسمون البشر إلى يهود وأغيار، فمع الغير تنقلب المعايير، ويتحول فعل الرذيلة إلى فضيلة يكافأ عليها اليهودي إن اقترفه بحق الآخر. والإرادة

لديهم جماعية، وكلّ قيمة رهن بالتعاليم الدينية، وقد تدخلوا في صنع تعاليم إلهية تحاول أن تجعل منهم فئة مختارة من البشر، مما حولها إلى ديانة عنصرية بعيدة عن القوة المستندة إلى العدالة الإنسانية.

٣) الأخلاق في المسيحية:

- مصدرها الوحي الإلهي (الإنجيل وأعمال الرسل) تقوم على إنكار الذات، وكبت الغرائز الفطرية والشهوات الإنسانية، كما أكدت على احتقار المال، وتمجيد الأجر السماوي، واعتبر أنّ الخلاص لا يتحقق إلا باللطف الإلهي لا بالأعمال الأرضية، ودعت إلى التمسك بالفضائل وحبّ الآخرين، والتسامح والإحسان والمحبة والمغفرة، إذ أطلقت شعار: «الله محبة».

- ظهرت أخلاق تزمتية في بعض الآونة، قسمت المجتمع المسيحي إلى فئتين: الرهبان والقساوسة: ممن هم قادرون على تطبيق تلك الأخلاقيات القاسية من

جهة، وعامة الشعب ممن لم يتمكنوا من الانصياع التام لتلك الأخلاق.

- كما ظهرت الأخلاق العقلية، وظهرت الفضائل الأربع (العفة والحكمة والشجاعة والعدالة)، وهي تمازج بين أفكار أرسطو، والوحي المسيحي، إضافة إلى فضائل لاهوتية أخرى هي الإيمان والإحسان، والتفاني، والتواضع، والزهد في الدنيا، وتفضيل الحياة الآخرة عليها.

٤) الأخلاق في الإسلام:

- تبلور مفهوم الأخلاق في الاسلام من منطلقات ثلاثة: (ديني: من القرآن، والحديث، والتوراة، والإنجيل، وفلسفي: عن اليونان، وأدبي: عن الفرس والهند، بما يعرف بالسياسة المدنية).

- المصدر الأساس للأخلاق الإسلامية هو الوحي الإلهي، وتستند إلى تعاليم القرآن والسنة النبوية، وهي تستشهد بالفطرة، لكنها أيضاً تدعو للتعديل في

السلوك الإنساني بواسطة التربية، واهتمت بالجوانب النظرية، كما ركزت أيضاً على الجانب العملي من السلوك الإنساني.

- حثّ الإسلام على المزاوجة بين الدنيا والآخرة، وأباح ملذات الدنيا، لكنّه حثه على العمل من أجل جزاء الآخرة؛ لأنّه الأبقى.

- ولم تترك هذه الأخلاق لخيار الأهواء والرغبات، بل إنها تحتكم إلى «الترغيب والترهيب»، في الدنيا والآخرة، محتكمة في كلّ ما سبق إلى القانون الإلهي المستمد من القرآن والسنة، وعليه يتلخص دور الإرادة الإنسانية في أن تدفع بالإنسان نحو الامتثال الكامل للإرادة الإلهية.

- الأخلاق عند الفلاسفة الإسلاميين: تأثر معظمهم بالفلسفة الإغريقية المتمثلة في أقطابها الرئيسة الثلاثة: سقراط، وأفلاطون، وأرسطو، إضافة إلى تأثرهم ببعض المذاهب وأبرزها الرواقية، كما أنّ هذه الفلسفات يغلب عليها النزعة العقلية، إضافة إلى

فكرة أنّ السعادة لا تحدث إلا بالتوحد مع الله، وتلك هي الغاية القصوى لتحقيق السعادة، وهذا يتأتّى بفعل التأمل والتحلي بالفضائل.

٥) الأخلاق في بلاد الشرق

أ. مصر: آمن المصريون القدماء بوجود قوة إلهية في السماء، لكنّها استخلفت الفراعنة العظماء، في الأرض بعد أن زودتهم بكلّ صنوف المعرفة، حتى يحكموا بين الناس بالعدل لتحقيق الخير بين البشر، كما تميزت بأنّها أخلاق عملية، فالشعور النظري الأخلاقي بالواجب يجعلهم يدركون معنى المسؤولية عن كلّ ما يصدر عن الإنسان من أفعال، والإرادة لها دور في تحويل القيم النظرية إلى واقع سلوكي له أثر على الفرد والمجتمع.

ب. الهند: وضمت عدداً من الديانات والمذاهب، أبرزها:

- البراهمية الهندوسية: تنطلق من فكرة اتحاد البشر بالله كونهم صادرين عنه، مما يجعلهم يعملون بتسيير تام،

فلا إرادة لكائن هو جزء من إله، وملحق بإرادته، كما نجد أنّ ثمة تشابه بين المسيحية والبراهمية في انتصار كلّ منهما للضعفاء من الناس، كالمرضى والفقراء، واحتفائهما بالمرأة؛ مما يدل على مستوى رفيع من الحضارة والإنسانية والتسامح.

- البوذية: ما يميّز البوذية أنّها انتصرت لإرادة الإنسان القوية، ولكن في مجال محدد هو تحديه لنوازع نفسه ورغباتها وشهواتها، لكنها أقصت حقّ الإنسان في التمتع بنعم الحياة، وأنشأت أخلاقاً مبنية على جلد الذات والتسامح، والتنازل عن كلّ حقوق النفس الدنيوية.

- الجينية اليوجية: هي مثل أعلى للزهد والتنسك، وقد اتبعت نظاماً من الرياضات البدنية والروحية القاسية التي تهدف إلى شفافية الروح وترقيتها، حتى تصبح أهلاً لأن تتحد بالآلهة، ونجدها تقترب من الصوفية في هذا الجانب، ومن هنا نلحظ أنّ الجينية تحلّق

خـارج الواقع الـوجـودي للإنسان حتى تصل حدّ الأسطرة.

- الأخلاق في الفارسية: ومن أبرزها

- الزردشتية: تقوم على انتصار النور على الظلمة، بوصفه رمزاً لانتصار الخير على الشر في النفس أولاً، ومن ثم ينعكس هذا على المجتمع، وهي أخلاق عملية لم تدعُ إلى طرح الشهوات، وإماتة الجسد، فهي تحتفي بالإنسان جسداً وروحـاً، وتدعوه إلى استنفار طاقاته باتجاه الارتقـاء بـه، وتدفع بتطور الإنسان وتعزيز دوره وإرادته من خلال قيم مسلكية مادية.

- المزدكية: اعتبرت انتكاسة اجتماعية، لأنها ارتأت أنّ الشر بين الناس سببه الملكية الخاصة، فجعلت المال مشاعـاً بين الجميع، وكذلك المرأة، وذلك لينتهي النزاع بين الناس، ومن هنا جاءت بعض الأفكار الشيوعية حول شيوع المال بين الناس فقط دون النساء، وذلك طلباً للعدالة الاجتماعية.

- الصين: ومن أبرز مذاهبها

- الكونفوشية: نـادت بفكرة الـواجـب المقدس الـذي يستمد سلطانه من نفسه، وبمقتضى معرفته والإحساس به، بحيث تكون أفعالنا صادرة عن وحيه، إذ يستنهض الكنفوشي الـوازع الداخلي «الضمير» بوصفه معياراً أخلاقيـاً يدفعه تجاه الخير دون الشرّ حتى خارج الجماعة، فهي أخلاق فردية، ونلحظ أن الكانطية تقترب منها في هذا الجانب، لكنها تختلف في أنها لم تشر إلى القواعد السلوكية القبلية في العقل كما كانط.

- التاوية: جوهرها العودة إلى الطبيعة الفطرية، ضد مظاهر الحضارة والمدنية، وقد دعت إلى التصوف والتخلص من كلّ ما هو مادي، والخلاص إلى أن الإنسان روح فقط، والغاية هي السير نحو ما رسمته الطبيعة «القانون السماوي»، وجوهر السعادة هو العدل والمساواة والبساطة والاقتراب من الطبيعة.

٦) الأخلاق في الثقافة الإغريقية

- السوفسطائية:

- ظهرت نتيجة الديمقراطية، عندما ساد حكم الشعب بعد دحر الفرس، حيث ازداد شعور الفرد بذاته وبدوره في الحياة، وبالتالي سادت النفعية الفردية، وأصبحت الفلسفة حرفة، واعتمدوا الحاسة أساساً للمعرفة، وبما أنّ الحاسة متغيرة بحسب الظروف، إذن لا ثبات في الحكم على ما هو حقّ أم باطل، أوخير أم شرّ، وإنما يتبلور ذلك بشكل نسبي، ويتفاوت من شخص لآخر حسب زمانه ومكانه وظرفه العام، وكذلك قامت على الشك والمكابرة، واعتبر بعضهم أن الطبيعة منافية للقانون، وهي المشرع لنا إذن ليس علينا أن نخضع له.

- فيثاغوروس: كان صاحب نزعة فلسفية تصوفية، وقد رأى الخير في انتصار الروح على الجسد، والفضيلة في الإعراض عن الشهوات، أمّا العفة فهي جهاد بين العقل والغرائز، والعدل والشجاعة والإخلاص وطاعة القانون ومحاسبة النفس قبل النوم والزهد

واالعبادات، وكذلك النزوع إلى التشبه بالله، ووجوب الشيوعية في المال.

- هيراقليطس: فيلسوف التغيير بلا منازع، وأول من بحث في ميدان الأخلاق، دون أن يضع لنفسه مذهباً أخلاقياً محدداً، تأسست فلسفته على ضرورة الاحتكام إلى العقل في الأفعال والسلوك دون اتباع عامة الناس، كما نادى بالحرية الأخلاقية، وهو صاحب نظرة تفاؤلية للكون والحياة، توصل إلى أنّ الخير الأسمى ليس إلا الانشراح والسرور، واعتبر أنّ «جميع الآثام والشرور ليست إلا أوصافاً ظاهرية تدرك بمعطيات عقولنا القاصرة». (كرم، ١٩٩٧: ٢١)

- ديمقريطس: صاحب نظرية الذرة، كل شيء في الحياة مادي، ينظر للأشياء نظرة نفعية، فالخير هو ما يجرّ نفعاً ولذة، والشرّ ما يجر ألماً، تأثرت به المدرسة النفعية البرغماتية الحديثة.

- سقراط: نفر من دراسة الطبيعة المادية، وانشغل

بدراسة مشكلات الإنسان، ولا سيما الأخلاقية، بحث سقراط عن التعريفات اليقينية للمفاهيم الأخلاقية الثابتة: التقوى، والشجاعة، والخير، والعدالة، والفضيلة، إذ اعتبر بحق مؤسس علم الأخلاق «Ethics» واعتبر أن فلسفة الأخلاق تسعى إلى الوصول إلى المبادئ الأولى أو المطلقة التي تظل ثابتة مهما تغيرت الظروف، وتباينت المجتمعات، من هنا استقى كانط فكرة الأسس الأخلاقية القبلية في العقل، عارض السفسطائية في الحسية، وبنى نظاماً فلسفياً في الميتافيزيقيا والأخلاق والمعرفة، وقد قسمت المعرفة إلى ما قبله وما بعده كما كانط.

- أفلاطون: نقد السفسطائية، كما ربط بين الأخلاق والسياسة، واعتبر أنّ الدولة هي الفرد في صورة أكبر، وبالتالي ارتأى أنّ كل تصرفات الأفراد تنعكس على الدولة بخيرها وشرها، فالحاكم والمحكوم سيّان، إلا بظروف معينة، يستثنى الحاكم بما تقتضيه مصلحة الدولة، واشترط ضرورة أن يكون الحاكم فيلسوفاً، لأنه القادر عى قيادة الناس إلى الخير، وهنا نجد أنّ

أفلاطون، ورغم مثاليته، وإيعازه الخير لعالم المثل، وأن الخير يكمن بالتشبه بتلك المثل، فإنه ينتصر للفرد القوي، كما أنه يمجّد الحرب في سبيل الخروج بنخبة من البشر.

المدرسة الكلبية: تقوم فلسفتهم على احتقار كلّ الخيرات الخارجية، فهي صراع ضد اللذات، واحتقار للعيش، والعلاقات الاجتماعية، يظهرون بمظهر رثّ، يتطفلون على المجالس، يرضون من مظاهر الحياة بالقليل، يدّعون أنّ الإله «زوس» كلفهم بمراقبة عيوب الناس، والتشهير بهم، كانوا يشبّهون أنفسهم بالكلاب التي تحرس البيوت والحقول، فالناس جميعاً أشرار، وهم وحدهم كحراس الفضائل، يتصفون بالإعجاب بأنفسهم والكبر واحتقار الآخر، وافتراض أخلاق عنصرية.

- القورينائيون: اللذة هي مقياس الخير والشرّ، يدّعون أنّ ذلك هو صوت الطبيعة، وما يضعه الناس من قيود للسلوك إنما هو مخالف للطبيعة، وأفضل لذة بالنسبة لهم هي الحاضرة، أما انتظار لذة في المستقبل

فهو أمر يجلب القلق، وهنا نلحظ أنها فلسفة متناقضة إلى حدّ ما، انتقلت من موقع تمجيد اللذّة إلى نفيها كلياً، بحجة أنها تتبع الألم، وأنّ الحكمة في الألم، لا في اللّذة ذاتها، مما يدفع باتجاه طلب الموت، كشفاء ضروري من الألم.

- أرسطو طاليس: زاوج أرسطو بين متطلبات الجسد والروح؛ بوصفهما شرطاً لتحقيق السعادة، فالخير الأسمى مقترن بتحقيق اللذة للجسد، والمال والجاه شرطان لتحقيق لذة خارجية، ليست أساسية في الحياة، لكنه اشترط التأمل والتفكير والاقتراب من الآلهة أيضاً، وركّزكذلك على الإرادة القوية عند الإنسان لتحقيق الفضائل، فالدافع الداخلي في نظره أكثر قدرة على التأثير في السلوك، من المكتسب الخارجي، كما قصر أرسطو السعادة اللازمة عن فعل الخيرات على الحياة الدنيا فقط، إذ لم يؤمن بخلود الروح، أو بحياة أخرى، ولعل دراسته للطبيعة في مظهرها المادي هي التي أوحت إليه بذلك.

- الأبيقوريون: يقوم مبدؤهم الأخلاقي على حساب اللذات، فالفضيلة لا قيمة لها في ذاتها، بل تستمد قيمتها من اللذة، الخير المطلق هو اللذة، والشرّ المحض هو الألم، وبالنظر إلى هاتين القضيتين يتحدد معنى السعادة.

• الرواقيون: «عِشْ وِفْقَ الطبيعة» يجب على الناس أن يتطابقوا مع الطبيعة بالمعنى الواسع، أي مع قوانين الكون من جهة، وأن يطابقوا أفعالهم مع الطبيعة بالمعنى الضيق حسب طبيعتهم الجوهرية، أي العقل من جهة أخرى، وبالتالي فإن العقل الكوني هو الذي يدبر حياتنا، وليس الهوى والإرادة الذاتية للفرد، من هنا نلحظ أنّ الرواقية تحتكم إلى قوانين الطبيعة بطريقة تنفي عنصر الإرادة الإنسانية نهائياً.

• **الأفلوطينية المحدثة: أفلوطين:**

- نتجت عن امتزاج فلسفة الشرق بالفلسفة اليونانية، يؤمنون بأنّ النفوس فاضت عن الله كما يفيض

النور عن الشمس، لذلك تشتاق إليه دائمـاً، وتسعى للاتصال به، بالتأمل والتفكير والغياب عن العالم المحسوس، وانعكس ذلك على النظرية الأخلاقية فقامت على التصوف، لا على البحوث العقلية المجردة.

- الشر يتأتى من الحياة الدنيا ومحتوياتها المادية، والتخلص من هذا الشرّ يكون بالتخلص من التعلق بتلك الماديات، والتطلع نحو العالم الفوقي.

- قيمتا الشر والخير نسبيتان تحسبان بصورة جمعية لا فردية، فالشرّ الذي يصيب فرداً قد يكون خيراً في إطار المجموع.

٧) فلسفة الأخلاق في العصر الحديث

(أنموذجات مختارة)

- ديكارت: يرى ديكارت أنّ العقل هو الإلهام، أو الحدس المباشر الذي يدرك به الإنسان الحقّ من الباطل، والـذي يتأتى للإنسان عند إيمانه بالقوة

العليا المدركة، ودعا ديكارت إلى ترويض الشهوات وسيطرة العقل عليها بالعلم والمعرفة، متأثراً بسقراط الذي جعل العلم أساس الفضائل، كما أبعد موضوع الأخلاق عن مجال الشك "كونها أثراً من آثار الدين، والدين لديه فوق الشك، فهو يجعل من الحاسة الخلقية «الضمير» رقيباً على تصرفات الإنسان على أن تهتدي الإرادة بالعقل في التمييز بين الخير والشر».

- مالبرانش: (مزيج من الفلسفة العقلية والصوفية) شارك ديكارت فكرة تأسيس الأخلاق على العقل الفطري، وزاد عليه في ربط الأخلاق العملية بالدين، وقرر أنّ ما تعانيه الأخلاق العملية من ضعف هو بسبب تقصير علماء اللاهوت، كان أكثر تشدداً من ديكارت الذي طالب بالموازنة بين مطالب العقل والغريزة، إذ طالب مالبرانش بإماتة الشهوات؛ لأن في ذلك خلوصاً إلى عالم العقل والروح والفضيلة.

- سبينوزا: يربط بين قوة البدن وقوة العقل برباط قوي، وهو يرفض الفضائل التي تسعى إلى قهر الجسد ومحاربة الشهوات، أقرّ نسبية الأخلاق، وقال عن

الخير والشرّ: ما هما إلا حالان من أحوال الفكر، أو تصوران يكونان عند مقارنة الأشياء بعضها ببعض، لأن الشيء الواحد يمكن أن يكون في وقت واحد خيراً وشراً على السواء.

- كانط: أراد كانط أن يحرر السلوك الأخلاقي من قيود الميول والأهواء؛ حتى تكون قيمته باطنية مطلقة، وبهذا تستبعد اللذة والمنفعة كغاية قصوى لأفعال الإنسان الإرادية، فالباعث على فعل الواجب لا يقوم قطّ في الرغبة في تحقيق غاية، أو الخوف من الضرر، بل يقوم في الإرادة نفسها، فالإرادة الخيرة هي فقط من تحدد إن كان الفعل خيراً أم شراً، لأنّ السلوك بحدّ ذاته لا يعني شيئاً إلا بحسب الإرادة الذاتية التي توجهه، ويؤمن كانط أنّ القانون الأخلاقي موجود قبلياً، أي قبل أي فعالية يقوم بها الإنسان، وبالتالي هو يضعنا أمام ما يعرف بميتافيزيقيا الأخلاق.

- شوبنهور: يرى في الحياة شراً مطلقاً، هو يبجل العدم، ويرى في الانتحار شيئاً جيداً، يربط بين الإرادة والعقل، فيرى أن العقل أداة بيد الإرادة وتابع لها، كما

يقرن الإرادة بالبدن، ففعل البدن ليس إلا فعل الإرادة بعد أن تتحقق موضوعيـاً أي أصبح منظوراً، ويعتبر أنّ المصدر الرئيسي لكلّ الأخلاق يكون في مشاركة الإنسان لمعاناة غيره بعيدًا عن الدوافع الأنانية، ويجد أن السلوك الأخلاقي الصحيح لا يكون منطلقـًا من وجهة نظر معينة، بل يعني التصرف دون وجهة نظر إطلاقًا.

- نيتشه: تأثر نيتشه بكلّ الفلسفات الأخلاقية التي سبقته فدرسها، ونقدها، وثار عليها، مؤسسـًا لأخلاق أرضية، بعيدة عن الدين وعن الميتافيزيقيا، وأعلى من شأن الإنسان وطالبه بالتطور حدّ الوصول إلى مرحلة الإنسان الأعلى « السوبرمان» وذلك بفعل إرادة القوة التي هي المعيار الأساسي للأخلاق، فطالب بأخلاق القوة، ونبذ الضعف والاستسلام، ونبذ أخلاق العبيد، فأقام ثورة قلب فيها القيم، بقصد النهوض بالإنسان كأقوى كائن على هذه الأرض ضمن أطروحة فلسفية قائمة على مبدأ الصيرورة، حيث لاجمود ولا ثبات ولا مقدس، وإنما الثورة والتطور الدائم إلى الأعلى.

٨) الأخلاق في أبرز مدارس الفكر المعاصر

الماركسية: لم تدعُ الماركسية إلى نظام أخلاقي خاص بطريقة وعظية مباشرة، وإنما أخضعتها للمتغير التاريخي الذي يطرأ على المجتمعات على كافة الأصعدة الحياتية سواء أكانت سياسية أم اقتصادية أم اجتماعية.

وكذلك يعزو البيان الشيوعي النتاج الفكري برمته، إلى الطبقة السائدة في زمان ومكان معينين، مع ضرورة تغير تلك الأفكار مع تغير وزوال الطبقة، إذن فالماركسية أحدثت قلباً للقيم في قضايا عدّة أبرزها إلغاء الطبقات والارتقاء بالطبقة العاملة «البروليتاريا».

- البرجماتية: مذهب فلسفي اجتماعي، يقول إنّ الحقيقة توجد في جملة التجربة الإنسانية، لا في الفكر النظري البعيد عن الواقع، وأن المعرفة آلة أو وظيفة في خدمة مطالب الحياة، وأنّ صدق قضية ما هو في كونها مفيدة للناس، وأن الفكر في طبيعته غائي (أي له غاية)، ومن أبرز منظّريها:

- تشارلس بيرس: يعتبر أنّ قيمة الفكرة في إمكانية تحققها، فهو يرى أنّ معيار الخير في العمل لا في الفكر والقول.

- وليم جيمس: يعطي للإنسان دوراً ريادياً في النهوض بالحياة وتطويرها، وأنّ الجبرية تشلّ حركة الإنسان وتثبط همته وعزيمته.

- جون ديوي: يعطي الأخلاق قيمة علمية اجتماعية، ولا يجعلها فردية، بالرغم من سطوة الواقع الاقتصادي والمالي الذي ساد في عصره، بل إنه انطلق من كونه عالم نفس وتربوياً؛ ليجعل من الأخلاق تربية اجتماعية تنعكس على الفرد من خلال بيئته، وأنّ تحسين الأخلاق لا يكون إلا بتعديل النظم الاجتماعية التي تحسن تربية الفرد.

- الوجودية:

ينقسم الوجوديون إلى متدينين وملاحدة، إلا أنهم ينطلقون من نفس المبدأ: أنّ الإنسان يوجد أولاً، ثم

تتحدد ماهيته، أي ما يريد أن يكون بالصفات التي يصنعها بنفسه، فالإنسان يمتلك حرية الاختيار في صنع ماهيته، بل إنّ حريته ملازمة لوجوده.

- أما سارتر فيجعل من الحرية والاختيار أساساً في الحكم على الموضوع الأخلاقي، فهو ينكر وجود أخلاق عامة مسبقة يمكنها أن تملى على الإنسان أو تدله على الواجب، فهو حرّ الاختيار والابتكار. كما يربط سارتر بين الفن، والأخلاق، انطلاقاً من وجهة نظر وجودية لكليهما، ففي حين لا يقبل بأية اشتراطات قبلية للفن، فإنه يقيس ذلك على الأخلاق أيضاً، فاللّوحة الحقيقية هي التي يصنعها الفنان بالفعل.

- تقسم آراؤهم إلى نوعين: بعضهم يصف المذهب الوجودي، باللاأخلاقية، مثل «كيركيجورد» (١٨١٣م –١٨٥٥م)، و»يسبرز» (١٨٨٣–١٩٦٩م)، وبعضهم يرى أن الوجودية حتى الآن بمعزل عن الأخلاق، مثل «هيدجر»، والفرق أن اللّاأخلاقية كما يفسرها بدوي

لا تعني عدم القول بالأخلاق، وإنما تعني عدم القول بأخلاق معينة، كالسقراطية، والمسيحية.

- وأخيراً نلحظ أنّ تاريخ الأخلاق يشير إلى أنّ الأخلاق ثورة متجددة على واقع السلوك الإنساني، تحكمه معايير الزمان والمكان والظروف الاقتصادية والمعيشية والسياسية والطبقية، إذن فالأخلاق نسبية متغيرة، تتحدد معاييرها وفق منبعها وهي خاضعة للتطور، وكذلك للتراجع والنكوص، كما نلحظ أنّ المعايير والمبادئ الأخلاقية متفاوتة بين البشر، إلا أنها قد تتكرر وأن بعضها قد يستمد جذوره من بعض، حتى أنها من أكثر المذاهب إيغالاً في التاريخ، فالتاريخ الإنساني حلقة متواصلة وصيرورة لا تقف عند حدّ معين، وهذا ما لاحظناه عبر الوجبة المعرفية المكثفة التي تناولها الكتاب حول معنى الأخلاق، والتراث الإنساني لفلسفة الأخلاق.

المصادر والمراجع:

١- القرآن الكريم.

٢-ابن حنبل، الإمام، مسند أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، ج٢.

٣-ابن منظور، محمد بن مكرم الأنصاري (٢٠٠٣)، لسان العرب، المجلد الثالث، دار الحديث القاهرة.

٤- أبوديّة، أيوب (٢٠٠٨)، موسوعة أعلام الفكر الغربي الحديث والمعاصر، مطبعة السفير.

٥- أرسطو، طاليس (١٩٢٤)، الأخلاق إلى نيقوماخوس ج١، ترجمة أحمد لطفي السيد، مطبعة دار الكتب المصرية.

٦-إمام، عبد الفتاح إمام (١٩٨٥)، فلسفة الأخلاق، دار الثقافة للنشر والتوزيع - القاهرة.

٧- إنجيل متى.

٨- الأهواني، أحمد فؤاد (١٩٦٦)، الكندي فيلسوف العرب، وزارة الثقافة والإرشاد القومي مؤسسة

المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، ١٩٦٦م.

٩- الأهـواني، أحمد فـؤاد، جـون ديـوي، نوابغ الفكر العربي، دار المعارف، ط٣.

١٠- بـدوي، السيد محمد (١٩٩٤)، الأخـلاق بين الفلسفة وعلم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية.

١١- بـدوي، عبد الرحمن (١٩٥٣)، هل يمكن قيام أخلاق وجودية، مكتبة النهضة المصرية.

١٢- بـدوي، عبد الرحمن (١٩٦٥)، شوبنهور، دار النهضة العربية، القاهرة.

١٣- بدوي، عبد الرحمن (١٩٧٥) الأخلاق النظرية، وكالة المطبوعات.

١٤- بدوي، عبد الرحمن (١٩٧٩) الأخلاق عند كانت، وكالة المطبوعات، الكويت.

١٥- برهييه، إميل(١٩٨٢)، تاريخ الفلسفة، ترجمة: جورج الطرابيشي، طليعة للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، بيروت، ج٢.

١٦- بريل، ليفي (١٩٥٣)، الأخلاق وعلم العادات الأخلاقية، ترجمة: د. محمود قاسم، مراجعة: د. محمد البدوي، وزارة المعارف، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.

١٧- بسيوني، محمد عبد الحميد (١٩٩٧)، أدب السلوك عند القدماء المصريين، الهيئة المصرية، مكتبة الأسرة.

١٨- حسين، طه (١٩٦٤)، قادة الفكر، دار المعارف، القاهرة.

١٩- الحفني، عبد المنعم (١٩٩٢)، معنى الوجودية، مكتبة راديو، القاهرة.

٢٠- دولوز، جيل(١٩٩٨)، ترجمة: أسامة الحاج، نيتشه، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت.

٢١- رسائل إخوان الصفا وخلان الوفا (١٩٥٧)، المجلد الأول، دار بيروت للطباعة والنشر، فصل في ماهية الأخلاق.

٢٢- سارتر، جان بول (١٩٥٩) الوجودية فلسفة إنسانية، ترجمة: حنا دميان، بيروت.

٢٣- سدجويك، هنري (١٩٤٩) المجمل في تاريخ علم الأخلاق، ترجمة: د. توفيق الطويل، عبد الحميد حمدي، دار نشر الثقافة بالإسكندرية.

٢٤- سفر التثنية.

٢٥- سفر التكوين.

٢٦- شاحاك، إسرائيل (١٩٩٧)، الديانة اليهودية وتاريخ اليهود وطأة ٣٠٠٠ عام، ترجمة رضى سلمان، المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت.

٢٧- شبل، فؤاد (١٩٦٧)، حكمة الصين، دار المعارف، القاهرة.

٢٨- شرابي، هشام (١٩٧١)، المثقفون العرب والغرب، دار النهار للنشر، بيروت.

٢٩- الشرقاوي، محمد عبد الله (١٩٩٣)، الكنز المرصود في فضائح التلمود، دار عمران، بيروت.

٣٠- الشنيصي، محمد فتحي، (١٩٥٧)، وليم جيمس، مكتبة القاهرة الحديثة، القاهرة.

٣١- صبري، محمد (٢٠١١)، التلمود شريعة بني إسرائيل حقائق ووقائع، مكتبة مدبولي القاهرة.

٣٢- طاليس، أرسطو(٢٠٠٧)، الكون والفساد، ترجمة عن الإغريقية إلى الفرنسية: بارتلمي سانتهلير، ترجمة إلى العربية: أحمد لطفي السيد، المركز القومي للترجمة، القاهرة.

٣٣- طاليس، أرسطو، علم الأخلاق إلى نيقوماخوس، ترجمة أحمد لطفي السيد، ج٢.

٣٤- الغزالي، أبو حامد، إحياء علوم الدين، بيروت، دار المعرفة، ط١، ج٣.

٣٥- غلاب، محمد(١٩٣٨)، الفلسفة الشرقية، مطبعة البيت الأخضر، القاهرة.

٣٦- الفارابي، أبوالنصر (٢٠٠٢)، آراء أهل المدينة الفاضلة، تحقيق القدس للدراسات والبحوث، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة.

٣٧- فنك، أويغن (١٩٧٤)، فلسفة نيتشه، ترجمة: الياس بديوي، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق.

٣٨- كامنكا، أوجين، الأسس الأخلاقية الماركسية ترجمة: عبد المنعم مجاهد.

كانت، عمانوئيل (١٩٦٥)، أسس ميتافيزيقا الأخلاق، ترجمة: محمد فتحي الشنيصي، القاهرة.

٣٩- كانت، عمانوئيل (١٩٦٦)، ترجمة: أحمد الشيباني، بيروت.

٤٠- كرسون، أندرية (١٩٤٦)، المشكلة الأخلاقية والفلاسفة، ترجمة: د. عبد الحليم محمود وأبوبكر زكرى، دار إحياء الكتب العربية، مؤلفات الجمعية الفلسفية المصرية.

٤١- كرم، يوسف (١٩٩٧)، تاريخ الفلسفة اليونانية، دار القلم، بيروت، ١٩٩٧م.

٤٢- كرم، يوسف، (١٩٦٣)، تاريخ الفلسفة الحديثة، دار المعارف، القاهرة.

٤٣- كولر، جون (١٩٩٩٥)، الفكر الشرقي القديم، ترجمة: كامل يوسف حسين، مراجعة: د. إمام عبد الفتاح إمام، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت.

٤٤- ليشتانبرجر، هنري (١٩٥٤)، نيتشة، ترجمة: خليل الهنداوي، دار بيروت، بيروت.
٤٥- ماركس، كارل، إنجلز، فريدريك (١٩٨٧)، بيان الحزب الشيوعي، ترجمة: د. عصام أمين، دار التقدم، موسكو.
٤٦- ماضي، أحمد (١٩٨٨)، الفلسفة العربية المعاصرة: مواقف ودراسات، مركز الوحدة العربية.
٤٧- ماضي، أحمد، موسى، سلامة (٢٠٠٨) العلمانية والدين، الانتشار العربي، ط١.
٤٨- مرحبا، محمد عبد الرحمن (١٩٩٥) بدايات الفلسفة الأخلاقية، مؤسسة عزّ الدين للطباعة والنشر.
٤٩- موسى، سلامة (١٩٥٣)، هؤلاء علموني، مؤسسة هنداوي، لنشر والتوزيع، الطبعة الأولى.
٥٠- موسى، محمد يوسف (١٩٤٣)، فلسفة الأخلاق في الإسلام وصلاتها بالفلسفة الإغريقية، مطبعة الأزهر.
٥١- موسى، محمد يوسف (١٩٥٣)، تاريخ الأخلاق، دار الكتاب العربي مصر.

٥٢- نيتشه، فريدريك (١٩٣٨)، هكذا تكلم زرادشت، ترجمة: فيليكس فارس، مطبعة جريدة البصير، الإسكندرية.

٥٣- وولتر، ستيس (٢٠٠٥)، تاريخ الفلسفة اليونانية، ترجمة: مجاهد عبد المنعم مجاهد، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ٢٠٠٥، بيروت.

المجلات والدوريات:

١- أنطون، فرح (١٩٠٨) مجلة الجامعة، نيتشه وفلسفته: فيلسوف لا يعرف اسمه قرّاء اللغة العربية، الجزء ٣.

٢- بشارة، نبيل (٢٠٠١)، مقال بعنوان: «أول كتاب في اللغة العربية»، مجلة إبداع، العدد التاسع، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر.

القواميس والمعاجم:

١- طرابيشي، جورج (١٩٨٧)، معجم الفلاسفة، دار الطليعة، بيروت.

٢- الموسوعة الفلسفية العربية، مادة الزرادشتية، المجلد ٣، ط١، بيروت، معهد الإنماء العربي ١٩٨٦.

٣- الموسوعة الفلسفية المختصرة، ترجمة: فؤاد كامل، جلال العشري، عبد الرشيد الصادق، بيروت، دار القلم.

السيرة العلمية والأدبية

د. نهلة الجمزاوي (نهلة محمود الزق)
مُحاضِرة أكاديمية، وأديبة وإعلامية
عضو الهيئة الإدارية في رابطة الكتاب الأردنيين لعدة دورات انتخابية.
عضو اتحاد الكتاب والأدباء العرب.
عصو اتحاد كتاب آسيا وإفريقيا وأمريكيا اللاتينية.
عضو الجمعية الفلسفية الأردنية.

- حاصلة على درجة الدكتوراه في الفلسفة من الجامعة الأردنية.
- حاصلة على درجة الماجستير في الفلسفة من الجامعة الأردنية.
- حاصلة على درجة البكالوريوس في الأدب العربي من الجامعة الأردنية.
- حاصلة على عدد من الدورات في المهارات الفنية الإعلامية المتنوعة من منظمة اليونيسكو، ومن المركز الأعلى للإعلام / عمان .

- نشر لها بحثان محكمان في كلّ من: مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية الصادرة عن الجامعة الأردنية، ومجلة جامعة ابن رشد الصادرة عن جامعة ابن رشد في هولندا.
- محاضر غير متفرغ في الجامعة الأردنـيـة (قسم المتطلبات الجامعية/ كلية الآداب - وفي مركز اللغات). منذ ٢٠١٧ حتى الآن.
- مسؤولة صفحات الطفل «دنيا الفرح وأشبـال» في جريدة الرأي الأردنية منذ ٢٠٠٧- حتى الآن ...(غير متفرغ).
- عملت في التحرير الصحفي الورقي والإلكتروني، وكاتبة مقال فكري ثقافي في عدد من الصحف والمجلات والمواقع الالكترونية.
- عملت مديرا لتحرير مجلة أوراق الصادرة عن رابطة الكتاب الأردنيين ٢٠١٧-٢٠١
- عملت محررا لمجلة حاتم للأطفال الصادرة عن المؤسسة الصحفية الأردنية -منذ ١/ ١٢/ ٢٠١٦ حتى١/ ١/ ٢٠١٨

- كتبت عـدداً من الـبرامـج الوثائقية والمسلسلات الـتـلـفـزيـونـيـة والإذاعــيــة لـعـدد مـن المحطات والمؤسسات الإعلامية العربية والمحلية.
- معدة ومقدمة برنامج درب الإبـداع على قناة هوى عمان ٢٠١٥.
- محاضرة ومشاركة في عدد من المؤتمرات الفكرية والأدبية الأردنية والعربية – من أبرزها، مؤتمرات رابـطـة الكتاب الأردنـيـين، والجمعية الفلسفية الأردنية، ومؤتمرات اتحاد كتاب العرب المنعقدة في عمان ودبي.

الإصدارات والجوائز:

- صدر لها ما يقارب الثلاثين عملاً إبداعيـاً ما بين المقروء والمرئي المسموع، في مجالات القصة والـروايـة، والشعر والمسرح والدراما التلفزيونية والإذاعية، وأدب الطفل، ولها عدد كبير من القصائد والأوباريتات، وأغاني الأطفال التي تبث على عدد من الفضائيات العربية، كما شاركت ببعض القصائد في المناهج التعليمية التربوية والكتب المدرسية.

أبرز الجوائز:

- فازت بعدد من الجوائز العربية في القصة والمسرح والدراما وأدب الطفل، منها:
- جائزة الشارقة في القصة القصيرة عن المجموعة القصصية «العربة» ٢٠٠١
- جائزة النصّ المسرحي من وزارة الثقافة العراقية ٢٠٠٢ عن مسرحية «الشظية».
- جائزة ناجي نعمان العالمية عن النص المسرحي «لعبة في الهواء القَلِق» ٢٠٠٥.
- جائزة وزارة الثقافة في الإبـداع عن روايـة الكوكب الصامت ٢٠١٥.
- جائزة البجراوية للإبداع في مجال «كتابة النص الدرامي، تأليف وسيناريو» من السودان بمناسبة الخرطوم عاصمة للثقافة العربية ٢٠٠٥.
- جائزة وزارة الثقافة للإبداع ٢٠١٦م عن كتابة النص التلفزيوني تأليف وسيناريو مسلسل درب الهوى «قيس ولبنى».

أبرز الإصدارات:

- «فلسفة الأخلاق عند نيتشة» وأثرها في الفكر العربي العربي الحديث والمعاصر/ الصادر عن دار فضاءات للنشر ٢٠١٣.
- فلسفة الفن والأدب عند نيتشه عن الدائرة الثقافية، الصادر عن أمانة عمان ٢٠١٨
- **مجموعات قصصية:**
- «العربة»/ عن المؤسسة العربية للطباعة والنشر ٢٠٠١.
- «الولد في هذيانه» / صادرة عن دار اليازوري للطباعة والنشر. ٢٠٠٢
- «يدفنون النهر»/ صادرة عن دار فضاءات للطباعة والنشر. ٢٠١٨
- مسرح الكبار:
- «مسرحية الشظية»، صادرة عن الأفكار الذهبية للنشر والإعلام، ٢٠٠٤
- مسرحية لعبة في الهواء القلق»/ صادرة عن الأفكار الذهبية للنشر والإعلام، ٢٠٠٤

- مسرح الطفل: الأعمال المسرحية «أنا الفرح»: صادرة عن دار فضاءات للنشر، ٢٠١١ وتضم إحدى عشرة مسرحية للأطفال، عرض معظمها على مسارح الأردن والوطن العربي.
- رواية الكوكب الصامت لليافعين/ صادرة عن منشورات وزارة الثقافة الأردنية-عمان.
- مجموعة قصصية بعنوان «القادم من المستقبل» لليافعين-صادرة بدعم من وزارة الثقافة الأردنية ٢٠٠٨.
- مسلسلات تلفزيونية: كتبت عدداً من المسلسلات التاريخية للكبار والمسلسلات «الكارتونية» التربوية والتعليمية للأطفال.
- نوقشت أعمالها المسرحية للطفل (أنا الفرح) ضمن رسالتين علميتين: ماجستير (٢٠١١)، ودكتوراه (٢٠١٥)، في الجامعة الأردنية - كلية الآداب.
- شاركت بعض قصائدها التربوية في المناهج المدرسية لوزارة التربية والتعليم الأردنية ٢٠١٤- ٢٠١٥ م في عدد من كتب المناهج المدرسية للمرحلة الابتدائية وفي المدارس الحكومية والخاصة.

- ترجم لها عدد من الأعمال القصصية والمسرحية إلى اللغة الانجليزية.

البريد الالكتروني: yahoo.com@jimzawi١

للاطلاع على قائمة منشورات وأخبار الوزارة
يُـرجى زيـارة العنـاوين التـاليـة :



موقـع وزارة الثقـافة الإلكتـروني
www.culture.gov.jo



رابـط صفحة وزارة الثقـافة على الفيس بـوك
www.facebook.com/culture.gov.jo

فلسفة الأخلاق

(مفهومها - تاريخها - تطورها)



خمس سلاسل للنشر، متطورة وعصرية، تطلقها وزارة الثقافة الأردنية، تسد النقص في المكتبة المحلية والعربية، منشورات مهمة في حقول معرفية مختلفة، فجاءت سلسلة فكر ومعرفة التي تسعى إلى خلق الوعي والإدراك وتنمية التفكير وفهم الحقائق وسياقات التاريخ والحياة، وتفسير النتائج والتجربة الإنسانية، وخلق التأمل الفلسفي ضمن آليات المنطق والتحليل العلمي. وسلسلة الفلسفة للشباب بهدف تشجيع الأجيال الجديدة للإفادة من مناهج الفلسفة في فهم العالم المعاصر، وتوعية الرأي العام بأهمية الفلسفة، واستخدامها نقديا لمعالجة طروحات العولمة وعصر الحداثة. وسلسلة الكتاب الأول التي تُعنى بنشر الكتاب الأول للمؤلفين؛ كباكورة لأعمالهم المستقبلية، مع مراعاة الإبداعية والشروط الكتابية الناضجة. وسلسلة سرد وشعر التي تُعنى بالكتابات الشعرية والسردية المهمة، المغايرة والمختلفة في الطرح والشكل، ذات الجودة والمكانة في تحقيق إضافة نوعية للمكتبة المحلية والعربية. وسلسلة شغف، تختص بالمخطوطات الموجهة للطفل، شعراً ونثراً، تراعي حاجات الطفل الفكرية والنفسية والوجدانية، وتحقق شروطها الفنية والجمالية والإبداعية.





9 789957 946883

هاتف: 5696218 962 + فاكس: 5691640 962 + ص.ب: 6140 عمان - الاردن
E-mail:info@culture.gov.jo website:www.culture.gov.jo